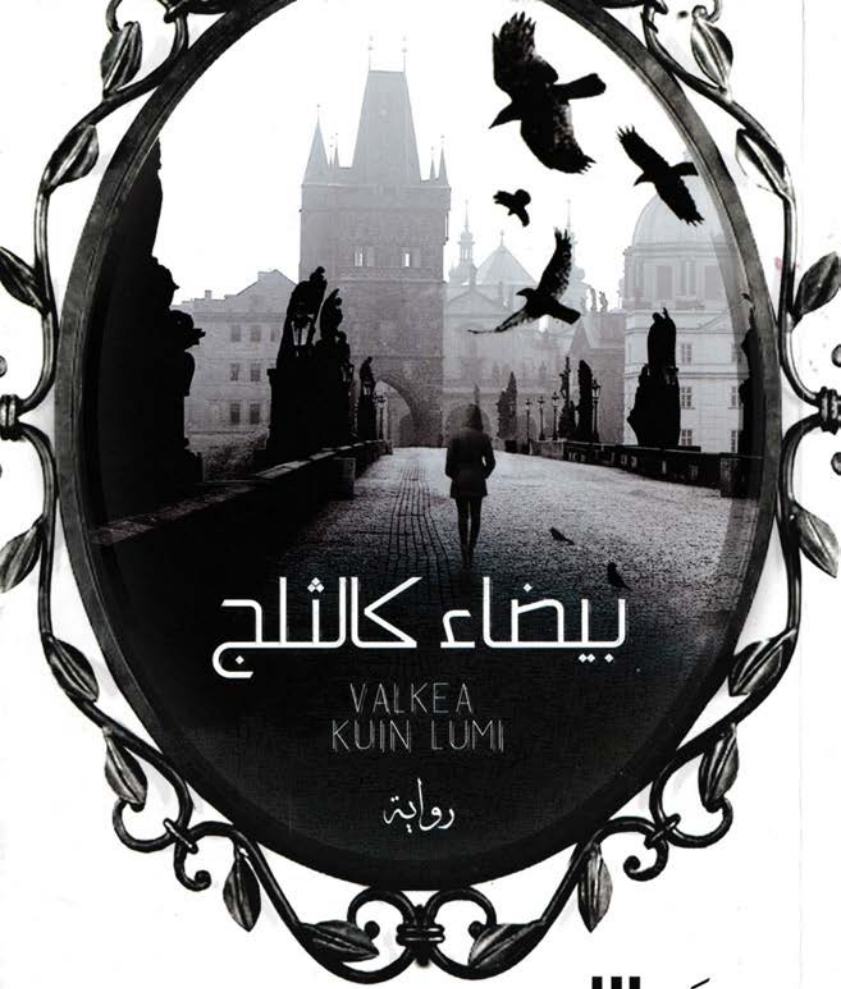

بيضاء كالثلج

VALKEA KUIN LUMI

رواية

سَالا سيموكّا

SALLA SIMUKKA

مكتبة 427

الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

بيضاء كالثلج

VALKEA KUIN LUMI

427 | مكتبة

في سالف الأزمان، عاشت فتاة تخفي سراً.

بعد أن أتحفتنا الكاتبة **سالا سيموكّا** بالجزء الأول من ثلاثية «بياض الثلج»، ها هي تمتعنا الآن بالجزء الثاني الزاخر بالأحداث المثيرة والتفاصيل الغامضة.

إذ تسافر لوميكي أندرسون إلى مدينة براغ عاصمة جمهورية التشيك في عز حرارة الصيف المحرقة. وفي هذه الرحلة التي لطالما انتظرتها، تصادفها مفاجأة غير متوقعة؛ إذ إنّ فتاة غريبة اسمها زيلينكا تعرفها على نفسها مدعية أنها أختها. قد تبدو الفتاة صادقة في قولها، ولكن تصرفاتها الغريبة تحيطها بهالة من الشك والريبة.

ثمة سرّ عائلي دفين لطالما أثار فضول لوميكي ودفعها للتحقّق منه؛ فانضمّت إلى طائفة دينية غريبة، ولكنها اكتشفت شيئاً فشيئاً أن الأمر ينطوي على أخطار ما كان لها أن تتخيلها في حياتها. إذ تهدد طقوس هذه الطائفة بوقوع مأساة كبرى سيستفيد أحدهم منها بمبلغ طائل. وفجأة تتعرض زيلينكا لخطر محدق يهدد حياتها، وكذلك لوميكي.

تتعرف لوميكي شوارع مدينة براغ القديمة ومقابرها وتألفها؛ عندما تجبرها الأحداث الرهيبة على النجاة بحياتها فيما هي تحاول منع تنفيذ تلك المخططات الكارثية الوشيكة. وبينما تُحْكم الحرارة الخانقة قبضتها على المدينة، يتوجب على لوميكي أن تعيد التفكير مراراً وتكراراً بمن يجب عليها أن تثق به، في الوقت الذي تبدو فيه نوايا الناس المحيطين بها بعيدة كل البعد عن النقاء الثلجي الذي ينطوي عليه معنى اسمها.

بيضاء كالثلج
VALKEA KUIN LUMI

رواية

سَالا سيموكّا
SALLA SIMUKKA

ترجمها إلى الإنكليزية
أوين ف. وايتسمان

ترجمة
زينة إدريس

مكتبة 427

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

مكتبة

telegram @ktabpdf

telegram @ktabrwaya

جديد الكتب والروايات

تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النص الإنكليزي عن الأصل الفنلندي

VALKEA KUIN LUMI

Translated from an English translation by Owen F. Witesman
(Translation copyright © 2015 Owen F. Witesman), published in 2015
by Hot Key Books
in the United Kingdom under the title As White As Snow.
Published with permission.

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

Tammi Publishers, Helsinki, Finland, represented by Elina Ahlback
Literary Agency, Helsinki, Finland

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © Salla Simukka, 2013
Original Edition Published by Tammi Publishers, Helsinki, Finland
All rights reserved
Arabic Copyright © 2015 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
2016 م - 1437 هـ

ردمك 978-614-01-1315-2

مكتبة ٢٠١٩٥٥

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: **سامح خلف**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

الخميس 16 يونيو

1

لا أشعر بالسعادة إلاّ حين تمطر.

تناهى صوت شيرلي مانسون إلى مسامع لوميكي، مؤكّداً لها أنّها لا تستمع سوى إلى الأغاني الحزينة، ولا تجد الراحة سوى في الليالي المظلمة، كما تحبّ دائماً الأخبار السيّئة. تألّقت الشمس في سماء صافية تماماً. وتصبّب العرق من ظهرها بفعل الحرارة العالية. وكانت ذراعاها وساقاها دبقة. ولو لعقت ظاهر يدها، لوجدته مالحاً. شعرت أنّ أشرطة صندلها تضاعفت عدداً، وتاقت قدماها إلى الحرّية.

جلست لوميكي أعلى حائط حجري، ثمّ خلعت صندلها، وراحت تحرّك أصابع قدمها. حدّقت إليها مجموعة من السيّاح اليابانيين، وضحكت شابّتان بينهما. ألم يسبق لهم أن رأوا قدمين حافيتين من قبل؟ مرحباً، أنا من أرض المومين. المومين يسيرون حفاة(*).

لم يكن المطر يتساقط، فهي لم تمطر منذ خمسة أيّام.

لا أشعر بالسعادة إلاّ حين تمطر. لم تستطع لوميكي أن تشارك شيرلي الغناء لأنّها ستكذب في هذه الحالة. فالشمس مشرقة

(*) المومين هي شخصيات مركزية في سلسلة من الكتب وفي شريط فكاهي للمصوّر الفنلندي والكاتب توف يانسون.

وهي سعيدة. ولا تريد تعقيدات في حياتها. كما أنّها لم تكن ممّن يشعرون بالرضى فقط عندما تسير الأمور بشكل خاطئ. بإمكان شيرلي أن تحتفظ بأحاسيسها السوداوية لنفسها. أطفأت لوميكي الموسيقى، وتركت ضجيج السيّاح يحتلّ عالمها الصوتي.

الإيطالية، الإسبانية، الإنكليزية الأميركية، الألمانية، الفرنسية، اليابانية، الروسية... في هذا الخليط من اللغات، كان من الصعب اقتطاف كلمات مفردة، فما بالك بجمل كاملة. وكان ذلك جيّداً في الواقع، لأنّها لم تكن مضطرّة إلى التركيز على التكرار العبثي للتفاهات. فلوميكي تعرف تماماً ما يقوله معظم الناس في هذا المكان.

يا له من منظر رائع!

كان كذلك بالفعل، ولا مجال لإنكار ذلك. فالمشهد المطلّ على براغ كان خلاّباً. أسقف القرميد الأحمر، وقمم الأشجار، وأبراج دور العبادة، والجسور، ونهر فالتفا المتألّق تحت الشمس. خطفت المدينة أنفاس لوميكي. وحتّى بعد مرور خمسة أيّام، لم تعتد على هذا المشهد. كلّ يوم، تشقّ طريقها إلى مكان مرتفع لتحدّق إلى المدينة وتستمتع بهذا الفرح الذي لا تجد له تفسيراً.

ربّما ما تشعر به هو حرّية الانعزال والوحدة. فهي بمفردها تماماً، وغير مسؤولة أمام أيّ كان. لا أحد يتّصل بها، ولا أحد يسأل عن جدول أعمالها. لم تكن تحمل على عاتقها أيّ مسؤوليّة. أمّا بالنسبة إلى أفكار التحضير لعامها الأخير في الثانوية والعمل في النصف الثاني من فصل الصيف، فيمكنها الانتظار حتّى عودتها إلى فنلندا. الآن، هي بمفردها، مع الحرارة الحارقة، والمدينة العابقة

بغبار التاريخ.

إنّه 16 يونيو، ولم يبقَ أمام لوميكي سوى أسبوع من عطلتها في براغ، قبل أن تعود إلى فنلندا لقضاء منتصف الصيف بشكل تقليدي مع أسرتها الكبيرة، التي ستذهب هذا العام إلى أرخبيل توركو. لم تعرف كيف ترفض عندما افترض والدها أنّ لوميكي آتية بالطبع. ليست لديها ارتباطات أخرى، أليس كذلك؟ لن تستأجر مقصورة مع أصدقائها، ولن تضع خطّة خاصّة مع شخص مميّز.

كلاّ، لا شيء. كانت لوميكي تفضّل قضاء منتصف الصيف في شقّتها، بمفردها، تصغي إلى الصمت. لم تكن تتوق إلى الأغاني المرحة، أو البطاطس الطازجة، أو السمك. ولم تكن ترغب في تأدية دور التلميذة المجتهدة، التي تبتسم وتتحدّث بأدب، وتعطي أجوبة غامضة عن الأسئلة حول المستقبل والأصدقاء، وتدفع عنها أقرباء لا تربطها بهم علاقة بيولوجية لكنّهم يحتضنونها على نحو مبالغ فيه.

غير أنّها فهمت أنّ أباها يريدها حقّاً أن تأتي، وكذلك أمّها. لم تمرّ سوى ثلاثة أشهر ونصف منذ أن كانت لوميكي راقدة في المستشفى. فقد تعرّضت لإطلاق نار في ساقها، لكن لحسن الحظّ اكتفت الرصاصة بالاحتكاك بالجلد. في الواقع، كانت لسعة الصقيع التي أصابتها بسبب الاستبقاء على الثلج أسوأ. فمحاولتها كشف غموض كيس من القمامة مليء بالأوراق النقدية الملوّثة بالدماء، تمّ وضعه في الحديقة الخلفية لمنزل صديقتها إليزا، أدخلها في مشاكل مع عصابة مهرّبي مخدّرات. إذ تعقّبت والد إليزا، الذي يعمل في شرطة مكافحة المخدّرات، الأمر الذي قادها إلى حفلة

فخمة في قصر خاضع لحراسة مشدّدة. هناك، اكتشفت أنّ زعيم عمليّات التهريب، المعروف بلقب الدبّ القطبي، كان في الواقع امرأتان توأم. فاضطرّت لوميكي إلى الهرب في اللحظة التي كشف أمرها بوريس سوكولوف، سفّاح الدبّ القطبي.

استناداً إلى شهادة لوميكي، أُلقي سوكولوف ووالد إليزا في السجن، لكنّ أحداً لم يستطع العثور على الدبّ القطبي التوأم. ومنذ حدوث ذلك في شهر مارس الفائت، قرّرت لوميكي إلاّ تحشر أنفها أبداً في شؤون الغير من الآن فصاعداً. فقد تمّت ملاحقتها، وأوشكت أن تتجمّد في ثلاّجة، كما تعرّضت لإطلاق نار. كان هذا كافياً، وليست راغبة في مزيد من الدماء، أو مزيد من التجسّس أو الفرار للنجاة بحياتها على الثلوج منتعلة حذاءً عسكرياً زلقاً.

في البداية، أراد والدا لوميكي إبقاءها في البيت في ريهيميكي، شمال هيلسينكي. حتّى إنّهما أرادا إغلاق شقّتها في تامبيري، لكنّها رفضت. فقد أمضت طوال الربيع في توصيل الصحف لتغطية الإيجار، وأقنعت والديها بإبقاء الشقّة تحسّباً. لكن خلال الأسابيع الأولى، لم تجدِ محاولاتها نفعاً لإقناعهم بالسماح لها بالنوم هناك. فتقبّلت لوميكي الوضع، واستقلّت القطار إلى المدرسة في تامبيري كلّ يوم. تدريجيّاً، بدأ والداها يلاحظان أنّ تنقّلها ليس عملياً، وراحت تنقل أشياءها تدريجيّاً إلى الشقّة. فنامت في البداية ليلة، ومن ثمّ ليلتان، وثلاث، إلى أن أعلنت في شهر مايو أنّها لن تعود إلى المنزل في ريهيميكي سوى من وقت إلى آخر، وكان قرارها نهائياً. فلم يعترض الوالدان. كيف يمنعانها وقد أصبحت راشدة تقريباً؟ فبإمكان لوميكي أن تدفع الإيجار من مدّخراتها ومن

المكافأة المدرسية الصغيرة التي تتلقّاها إن اضطرّت لذلك.

بعد انتهاء المدرسة، رغبت لوميكي في إجازة. فحجزت تذكرة إلى براغ، وبحثت عن غرفة غير مكلفة في أحد الفنادق، ثمّ حزمت أمتعتها الضرورية، ورحلت.

ما إن أقلعت الطائرة، حتّى شعرت بموجة من الارتياح. ها هي ذاهبة في إجازة من فنلندا ومن قلق والديها المستمرّ عليها. ستبتعد عن الشوارع التي ما زالت تُجفل أحياناً عندما ترى فيها رجلاً يرتدي ملابس سوداء. فقد أمضت حياتها في محاربة الخوف الذي تكرهه. وعندما ترجّلت من الطائرة في مطار براغ، أحسّت أنّ السلاسل الثقيلة التي تقيّدها ترخي قبضتها. فمشت بظهر مستقيم، وخطوات أكثر ثقة.

لهذا السبب كانت لوميكي سعيدة. لهذا السبب أدارت وجهها إلى الشمس، وأغمضت عينيها، وابتسمت لنفسها، وهي تنهل من عطر أوروبا الوسطى. بحثت في حقيبة ظهرها، وأخرجت بطاقة بريدية لجسر تشارلز وهو مضاء ليلاً. فقرّرت كتابة بضعة سطور إلى إليزا، التي أصبح اسمها الآن «بينّا» بعدما غيّرت اسمها هي وأمّها. فقد كانت تلك هي الطريقة الوحيدة للحفاظ على سلامتهما بعدما حدث في الشتاء مع والد إليزا. لكنّ لوميكي ما زالت تدعوها إليزا.

كانتا تعيشان الآن في أولو، شمال فنلندا. هناك، تدرس إليزا فنّ التجميل، وتكتب إلى لوميكي من وقت إلى آخر لاطلاعها على آخر المستجدّات. في رسالتها الأخيرة، أخبرتها أنّها قامت أخيراً بزيارة أبيها في السجن، وأنّ اللقاء كان صعباً جدّاً، تماماً

كما تخيّلت. غير أنّه كان من المهمّ لها رؤية أبيها. في الرسائل، بدت إليزا هادئة على نحو غريب وأكثر نضجاً من ذي قبل. فقد أجبرتها أحداث الشتاء على النضوج وتحمّل المسؤولية. هكذا، لم تعد ابنة أبيها المدلّلة، والغريب أنّ هذا الأمر لاءمها أكثر بكثير من دورها السابق. وقد سُرّت لوميكي لأنّ أمورها تسير على خير ما يرام، بالنظر إلى الظروف.

في الواقع، إليزا هي من جعلت هذه الرحلة ممكنة. فقد أرسلت إلى لوميكي ألف يورو من الثلاثين ألف التي أُلقيت في الباحة الخلفية قبل تسليم معظم الأموال الباقية إلى الشرطة. وقالت لوميكي لوالديها إنّها ادّخرت مال الرحلة بنفسها. صحيح أنّها كانت تحتفظ ببعض المدّخرات، لكن بفضل هدية إليزا، لم تُضطرّ إلى إنفاقها. وقد شعرت بالارتياح لاستخدامها المال الملوّث بالدم وإخراجه من الدرج السرّي في خزانتها، لتنعم أخيراً براحة البال.

فجأة، سقط ظلّ على وجهها. اختلطت رائحة البخور مع شيء من صابون القنب وغلبت على رائحة المدينة. فتحت لوميكي عينيها، لتجد بجانبها فتاة في العقد الثاني من العمر، ترتدي سروالاً أبيض من الكتّان مع قميص فضفاض بأكمام طويلة من القماش نفسه. صفّفت شعرها البنّي في ضفيرتين ملفوفتين على شكل تاج حول رأسها. بدا التردّد في عينيها الرماديّتين وهي تلمس بإصبعها الشريط الجلدي البالي لحقيبة الكتف العسلية.

أحسّت لوميكي بشيء من الانزعاج.

في الواقع، سبق أن رأت الفتاة بضع مرّات من قبل. كانت تراقب لوميكي، ظنّاً منها أنّ هذه الأخيرة لن تلاحظ. صدف أن

زارتا المواقع السياحية نفسها، وتجوّلتا في المدينة في الوقت نفسه. بـدت الفتـاة أكبر منها ببضعة أعوام، وكانت بمفردها هي الأخرى. قـد تكـون علـى الأرجـح هيبية تبحث عن رفيق سـفر تجالسـه في الحدائق، وتتسامر معه، وتناقش معه الترابط العميق لهذا الكون.

صحيح أنّه لا خطأ في ذلك، لكنّ لوميكي أتت خصّيصاً إلى براغ لتنعم بالوحدة. ولم ترغب في مرافقة أحد من أصدقائها.

عندمـا فتحـت الفتـاة فمهـا، كانـت لوميكـي قـد حضّـرت ما ستقوله. ستكون موجزة، ومؤدّبة، وباردة. فالبرود ينجح دوماً.

علـى الرغـم من حرارة الجوّ، اجتاح إحسـاس مختلف بالبرد عمودها الفقري عندما أنهت الفتاة جملتها، واقشعرّ جسمها.

'Jag tror att jag är din syster.'

أعتقد أنّني أختك.

أنا من لحمك ودمك. وأنت من لحمي ودمي.

نحن عائلة. نحن آباء وأمّهات، وأهل وأولاد، وأخوة وأخوات، وأعمام وعمّات، وأخوال وخالات، وأقارب. يجري في عروقنا دم واحـد، وإيمـان واحـد، أقوى من الجبال وأعمق من البحار. خُلقنا أسرة واحدة، وأعضاء في مجموعة مقدّسة واحدة.

فلنأخذ بأيدي بعضنا. أخوة وأخوات، سيحين موعدنا قريباً... لن نخشى شيئاً، فإيماننا قويّ.

إيماننا أبيض كالثلج. نقيّ وساطع. لا مجال فيه للشكّ. إيماننا سيحرقهم مثلما تلتهم النار الهشيم.

نحـن عائلـة سـتبقى موحّدة دائماً. إننا العائلـة البيضاء، وقريباً سنكافأ على صبرنا.

2

جال نظر الفتاة على طاولات المقهى، والمظلّات، ووجوه السيّاح. راحت تمرّر أصابعها البيضاء الرشيقة على سطح كأسها المليء بالماء المثلّج، وترسم خطوطاً على طبقة الرطوبة المتراكمة عليه. لم تتناول منه سوى رشفة واحدة، في حين شربت لوميكي حتّى الآن كأسين كبيرين من الماء بالإضافة إلى فنجان من القهوة المرّة.

قرّرتا الجلوس في مقهى السيّاح الواقع في باحة القصر، على الرغم من أسعاره المرتفعة، نظراً لعدم وجود مكان آخر لائق في المنطقة. كان ذهن لوميكي مشوّشاً، ولم تستطع صياغة عشرات الأسئلة التي تضجّ في رأسها.

قالت الفتاة بشيء من التردّد، وبصوت أقرب إلى الهمس: «Jag måste kanske försöka förklara...».

أجل، اشرحي من فضلك.

بقيت لوميكي صامتة، وقرّرت أن تترك الفتاة تروي قصّتها من دون أن تطرح عليها أيّ أسئلة.

«Jag har... kan jag prata engelska? Min svenska är lite... dålig».

فكّرت لوميكي وهي تهزّ رأسها، بالطبع، تكلّمي الإنكليزية.

لاحظت أنّ الفتاة تتحدّث بلكنة تشيكية قوية، ما يعني أنّ اللغة السويدية لم تكن لغتها الأمّ. لكن لا بدّ من وجود سبب دفعها إلى التحدّث مع لوميكي بالسويدية عوضاً عن التشيكية أو الإنكليزية.

قالت: «اسمي لينكا، وأنا في العشرين من عمري».

نظرت لوميكي إلى أصابعها التي كانت ترتعش بعصبية على سطح كأس الماء. على يدها اليسرى، بدا انخفاض طفيف حول البنصر، كأنّها كانت ترتدي خاتماً لوقت طويل ولم تخلعه سوى مؤخّراً.

قالت لينكا إنّها عاشت كلّ حياتها في براغ. عاشت مع أمّها إلى أن ماتت الأمّ عندما كانت لينكا في الخامسة عشرة، إثر حادثة. فقد سقطت ليلاً في النهر.

تغيّر صوت لينكا، وحدّقت للحظات طويلة فوق رؤوس السيّاح، قبل أن تستأنف قصّتها مجدّداً.

«منذ ذلك الحين، اعتنى بي أشخاص آخرون. ولديّ الآن عائلة جديدة».

سألتها لوميكي: «هل أنت متزوّجة؟».

هزّت لينكا رأسها بعنف نافية.

«لا، لا، لا شيء من هذا القبيل. إنّهم مجرّد أشخاص طيّبين أخذوني تحت جناحهم. هل تعتقدين بالخير؟».

أتى السؤال مفاجئاً وجادّاً، بحيث احتاجت لوميكي إلى ارتشاف شيء من القهوة قبل أن تجيب.

«أنا أعتقد بالأعمال الخيّرة والنوايا الخيّرة».

نظرت لينكا مباشرة إلى عينيها، ولم تعرف لوميكي كيف تفسّر

هذا التعبير. أهو تأمّل أم تحدٍّ؟ تمنّت لو أنّ لينكا تدخل في صلب الموضوع، لكنّها امتنعت عن الضغط عليها.

بدا كأنّ هذه الأخيرة قرأت أفكار لوميكي، إذ قالت: «في طفولتني، لم تخبرني أمّي شيئاً عن أبي، مع أنّ إلحاحي دفعها إلى الجنون بلا شكّ. كانت تقول، أنت لا تملكين أباً، وكنتُ أعرف أنّها كذبة، فلكلّ إنسان أب. عندما أصبحت في العاشرة، أخبرتني أمّي كلّ شيء. قالت إنّها التقت منذ أحد عشر عاماً بأحد السيّاح في الصيف. كان من فنلندا، ويتكلّم السويدية. وكان اسمه بيتر أندرسون».

أحسّت لوميكي بالبرد مجدّداً، مع أنّ الهواء الحارّ كان يضغط عليهما من كلّ جانب مثل بطّانية كهربائية. أخذت تبحث آلياً عن ملامح أبيها في وجه لينكا. هل تحمل شبهاً به في أنفها المستقيم الضيّق؟ أم في حاجبيها السوداوين؟ أم في شكل فكّها؟ أحياناً، كانت تلمح شبح أبيها أمام وجه لينكا، لكنّ الرؤيا سرعان ما تختفي.

«بحسب أمّي، كانت العلاقة قصيرة، لأنّ الرجل يملك زوجة في فنلندا. كنتُ غلطة بطبيعة الحال، لكن عندما اكتشفت أمّي حملها، قرّرت الاحتفاظ بي. لم تخبر الرجل، أعني أبي، شيئاً عنّي. لكن عندما أصبحت في الثانية من عمري أرسلَت له صورة لي».

صمتت لينكا للحظة، وأخذت جرعة كبيرة من الماء. أمّا لوميكي فأحسّت أنّ كرسيها يهتزّ تحتها. كانت تسمع كلام لينكا، لكنّها تجد صعوبة في فهمه. لأبيها ابنة أخرى، تعيش هنا. وهي شقيقتها الكبرى.

«أراد أبي رؤيتي، لكنّ أمّي رفضت. فظلّ لسنوات يرسل لنا الرسائل، والبطاقات، والصور، والهدايا الصغيرة، والمال. غير أنّها لم تردّ عليها أبداً، وتدريجيّاً، أصبحت الرسائل تزداد ندرة. أخيراً، توقّفت تماماً. أخبرتني أمّي عن أبي، لكنّها لم تذكر شيئاً عن الرسائل. أنا من عثر عليها عندما كنت في الثانية عشرة. كانت أمّي قد خبّأتها في خزانة خلف بعض البياضات. ولم أنظر إليها سوى لبضع دقائق قبل أن تفاجئني وتثور غضباً. اتّهمتني أنّني أتطفّل على خصوصيّاتها من وراء ظهرها. ثمّ أخذت منّي الصندوق وأفرغت محتوياته في الموقد، وأحرقت كلّ شيء. يومها، بكيت طوال الليل».

تكلّمت لينكا بصوت عادي لا ينمّ عن أحاسيسها، لكنّ ارتجاف يديها أكّد أنّ تلك الكلمات خرجت منها بصعوبة. جلست مطوّلاً بصمت، وبدا واضحاً أنّها لا تدري كيف تتابع.

كان بجانبهما مجموعة صاخبة من التلاميذ الإيطاليين. راح الصبيان يشربون العصائر الغازية، ويتنافسون من يمكنه أن يتجشّأ بصوت أعلى. كما جلس زوجان أميركيان يتذمّران بصوت عالٍ من صعوبة تحويل اليورو إلى دولار، ومعرفة ما إذا كانا قد اشتريا بسعر مناسب. سجّلت لوميكي كلّ هذا، لكنّ الأصوات بدت كأنّها آتية من بعيد، من بُعد آخر.

بدت قصّة لينكا كأنّها قطعة أحجية تسقط في مكانها وتملأ فراغاً شعرت به لوميكي منذ زمن بعيد. إذ لطالما عرفت وأحسّت أنّ أسرتها تخبّئ شيئاً. كان ثمّة أمر كبير لا يتحدّث عنه أحد، لكنّه يملأ غرف منزلهم أحياناً بحيث يصعب عليها التنفّس. توتّر أبيها،

وعينا أمّها الحزينتان والدامعتان، والأحاديث التي تنقطع فجأة عندما تدخل إحدى الغرف.

مع ذلك، كان من الصعب جدّاً على لوميكي أن تتخيّل شيئاً كهذا عن أبيها. فبيتر أندرسون هو رجل متّزن جدّاً، ووقور، سلوكه منضبط وفوق الشبهات. غير أنّ كثيراً من الناس يملكون وجهاً عامّاً ووجهاً خاصّاً. وفي بيوتهم، يتمكّنون من إظهار الحزن، والتعب، والندم الذي يشعرون به. مع أسرهم، يستطيعون أن يضحكوا ويتصرّفوا باسترخاء. غير أنّ لوميكي أحسّت دائماً أنّ أباها لا يملك سوى وجهاً عامّاً، يبقى هو نفسه أينما حلّ. كانت القوقعة التي يحيط نفسه بها قوية ومنيعة.

هل يعقل أن يكون أبوها قد أقام علاقة ملتهبة في براغ؟ هل هو قادر حتّى على إظهار هذا النوع من العواطف؟ في الحقيقة، لم يذكر يوماً أنّه زار تلك المدينة. كان الأمر غريباً. لماذا لم يعطها مثلاً نصائح حول الأماكن التي يجدر بها زيارتها، والأشياء التي لا يجب أن تفوتها.

كانت لينكا تتحدّث عن بيتر أندرسون مختلف عن ذاك الذي تعرفه لوميكي. غير أنّ هذا لا يعني شيئاً. فمن الممكن تماماً أن تجهل لوميكي نواحي معيّنة من شخصية أبيها وحياته. هل نعرف حقّاً الآخرين، حتّى لو كانوا من أقرب الناس إلينا؟

«عندما توفّيت أمّي، ظننت أنّني لن أعرف شيئاً عن أبي بعد اليوم. كلّ ما كنت أملكه هو اسم بيتر أندرسون، وكونه يعيش في فنلندا، ويتكلّم السويدية. والاسم شائع جدّاً بحيث يصعب تماماً العثور عليه. هذا إلى أن رأيتك».

سألتها لوميكي تلقائياً: «لكن كيف عرفتِ؟ نحن لم نلتقِ أبداً».

للمرّة الأولى، ظهرت ابتسامة صغيرة على شفتيّ لينكا.

«قبل أن تحرق أمّي الرسائل وكلّ شيء آخر، رأيت صورة لك. كنتِ في الثامنة من عمرك. وعلى ظهر الصورة كُتب: أختك الصغرى لوميكي. فحُفرت تلك الصورة في ذهني بأدقّ تفاصيلها. وعندما رأيتك، عرفتك على الفور. فأنت تشبهين الصورة كثيراً. لكنّني أردت التأكّد، فتبعتك وراقبتك. أتمنّى ألاّ تكوني قد غضبتِ منّي».

هزّت لوميكي رأسها نافية. وعندما فعلت ذلك، أدركت أنّها ليست واثقة تماماً ما الذي تنفيه.

كلّ ما كانت تعرفه أنّ لا شيء سيعود كما كان مجدّداً.

3

كان شعرها بنّياً، شأنها شأن لوميكي، لكنّه أكثر ميلاً إلى البنّي الباهت منه إلى البنّي المحمرّ الدافئ. كما كان طويلاً. فلو فردت لينكا الضفيرة التي تتوّج رأسها، سيصل شعرها على الأرجح إلى أسفل ظهرها. أمّا شعر لوميكي القصير فكان على طراز شعر كاري موليغان. لكن لا يمكن حسم شيء من لون الشعر. فالشعر البنّي هو على الأرجح اللون الطبيعي الأكثر شيوعاً بين نساء أوروبا الوسطى.

أمّا بالنسبة إلى العيون الرمادية، فكانت عينا لينكا أدكن بقليل من عينيّ لوميكي. ربّما كان انحناء شفتها العليا يمتاز بالرقّة نفسها، إن أمعن المرء النظر، غير أنّ تقاسيم وجهها كانت مختلفة. فجبين لينكا أكثر ارتفاعاً بشكل ملحوظ، في حين أنّ أنف لوميكي أقصر وأصغر.

بالنسبة إلى الطول، كانتا بالطول نفسه تقريباً، وربّما كانت لينكا أطول منها بإنش واحد. وقفتا جنباً إلى جنب أمام مرآة حمّام المقهى، وراحت كلّ منهما تتفحّص وجه الأخرى. أمسكت لينكا بكتف لوميكي، الأمر الذي لم يرح هذه الأخيرة، فهي لا تحبّ أن يلمسها الغرباء. حتّى مع معارفها، تفضّل الحفاظ على مسافة شخصية، بحيث لا تسمح سوى لعدد قليل من الأشخاص بالاقتراب منها ولمسها. كانت قبضة لينكا قوية، وكان وجهها أبيض

مثل أصابعها، خلافاً لبشرة لوميكي الملوّحة بعض الشيء.

من حيث المظهر الخارجي، من الممكن أن تكونا شقيقتين، أو لا. فما من ميزة وراثية معيّنة تدلّ على علاقة وراثية، كما أنّ أيّاً منهما لا تبدو شبيهة على وجه الخصوص بوالد لوميكي.

انحنت لوميكي فوق المغسلة ورشّت الماء البارد على وجهها وعنقها. فشعرت بالانتعاش وبدأ دماغها يعمل بشكل أفضل. كما أنّ هذه الحركة جعلت لينكا تفلتها.

سألتها لينكا وهي تنظر إليها بترقّب: «ما رأيك؟» بدت مثل جرو يتوسّل صاحبه ليداعبه خلف أذنه. كانت لوميكي تفضّل عدم قول شيء، فنهارها كان حافلاً بالاكتشافات، ولم تجد الوقت الكافي للتفكير بما يعنيه ذلك، وبما ستفعله.

ولا تحتمل لوميكي جهل خطوتها التالية.

قالت أخيراً وهي تجفّف عنقها بمنديل ورقي: «هذا... كمّ هائل من الحقائق دفعة واحدة». تسرّبت نقطة واحدة من المياه تحت قبّة قميصها، وانزلقت على طول عمودها الفقري مثل نذير شؤم.

«أعرف. فقد أمضيت سنوات وأنا أبحث في هذا الموضوع، أمّا أنت فسمعتِ به للتوّ».

«أجل، فأبي لم يقل شيئاً عن ذلك يوماً. لم أكن أعرف بوجودك. أبي...».

وضعت لينكا يدها الأخرى على كتف لوميكي. من الواضح أنّها تفسّر التردّد على أنّه فيض من العاطفة. وهذا صحيح إلى حدّ ما، لكنّ لوميكي لا ترغب في هذه المرحلة في كشف شيء عن

نفسها. بل تريد أن تتأكّد من معرفة الحقيقة أوّلاً.

في الواقع، ثمّة شيء مريب وغير متّزن في قصّة لينكا. فالصُدف تبدو غير منطقية. مع ذلك، تبدو التفاصيل صحيحة. راحت أفكار لوميكي تتضارب ولم تستطع تهدئتها.

سألت لينكا: «هل يمكنني أن أطلب منك معروفاً؟ لا تخبري أباك عن ذلك، أقصد أبانا. فأنا لا أريده أن يعرف بوجودي مجدّداً عن طريق شخص آخر، بل أريد إخباره بنفسي عندما يحين الوقت المناسب».

هزّت لوميكي رأسها موافقة، فمن السهل عليها تلبية الطلب. بصراحة، لم تفكّر حتّى في القفز إلى الهاتف والاتّصال بأبيها لاستجوابه حول ما إذا كان يملك ابنة سرّية في براغ. فهم غير معتادين على ذلك في أسرتها، بل يعمدون عادة إلى الدوران حول الموضوع، ومحاولة تسوية الأمور بأيّ طريقة ممكنة غير التحدّث بصراحة. إنّها عائلة مليئة بالأسرار. وقد يبدو هذا مثيراً، كما في الألغاز، لكنّه في الحقيقة أشبه بصخرة هائلة تضغط عليهم جميعاً وتجعل من الصعب عليهم النظر في أعين بعضهم البعض.

سألتها لوميكي وهي تغيّر اللغة: «كيف تعلّمت السويدية؟».

ابتسمت لينكا بخجل وأجابت بالسويدية أيضاً: «قد يبدو هذا سخيفاً على الأرجح، لكن عندما علمت أنّ أبي يتكلّم السويدية، بدأت أتعلّمها بنفسي، من خلال الإنترنت والكتب. كما شاهدت مقاطع فيديو لأطفال سويديين على يوتيوب، وحاولت تكرار كلماتهم. وقد بدت مألوفة على نحو غريب في فمي..Smultron Fånig. Längtan. Pannkaka. ربّما كانت لغة أهلنا جزءاً من صفاتنا

الوراثية».

لم تكلّف لوميكي نفسها عناء الإشارة كم يشبه كلامها رطانة العصر الجديد، ويفتقر بوضوح إلى أيّ أساس في علم الوراثة أو علم النفس التنموي البشري. لينكا حرّة في معتقداتها.

دخلت سائحة ألمانية إلى حمّام السيّدات وألقت نظرة غريبة على لوميكي ولينكا. تناهى إليهما من الخارج صوت أجراس دار العبادة الكبيرة المسماة سانت فيتوس تُنذر بحلول الساعة الثانية عصراً. ففوجئت لينكا.

سألت: «هل أصبحت الساعة الثانية؟».

هزّت لوميكي رأسها مؤكّدة. راحت لينكا تنظر حولها، ومدّت يدها لالتقاط حزام حقيبتها الجلدية مجدّداً. بدت مثل حيوان مطارَد. واختفى دفؤها واسترخاؤها الطفيف في غمضة عين.

قالت لينكا: «عليّ الذهاب. دعينا نلتقي غداً، عند الساعة الثانية عشرة».

«في المكان نفسه؟».

نظرت لينكا حولها.

«كلاّ، ليس هنا، هذه ليست فكرة جيّدة. هل تعرفين قلعة فيشيهراد؟ يمكنك الذهاب إليها بالمترو، فلنلتقِ هناك».

لم تجد لوميكي الوقت لتجيبها، أو لتقترح مكاناً ملائماً أكثر، أو تسألها إلى أين تُهرع، لأنّها كانت قد خرجت أساساً من الحمّام، تاركة لوميكي أمام المرآة تنظر إلى وجهها العابس.

أخذت المرأة تطرق بأصابعها على سطح الطاولة. بدت

الطاولة ملساء. فمنذ شهر واحد فقط، تمّ حفّها وطلاؤها لإزالة كلّ الخدوش. جال نظرها على جدران الغرفة. كانت الشهادات، والجوائز، وقصاصات الصحف معلّقة في عرض ملوّن لأبرز محطّاتها المهنية. وكانت كافية لإثارة غيرة أيّ كان. لكن بالنسبة إليها، لم يكن هذا كافياً. فما من شيء يكفيها، ليس في هذا المجال. في هذا المجال، على المرء أن يبقى جائعاً، وان يرغب دائماً في شيء أكبر، وأفضل، وأروع، وأكثر تأثيراً، وأكثر إثارة للغيظ، وإثلاجاً للصدر. فالمرء يحتاج إلى التجديد مثلما يحتاج إلى الأوكسجين. وعليه أن يبقي إصبعه على نبض الزمن، أو أن يسابق الزمن إن استطاع، ويضرب ضربته في اللحظة التي لا يتوقّعها الناس.

عليه أن يكون موضوع الحديث، وعلى كلّ لسان. هنا، الآن، وغداً.

تناولت المرأة الهاتف، ثمّ فتحته، وسحبت بطاقة الخطّ واستبدلتها بأخرى.

أعادت تشغيل الهاتف، واختارت رقماً لا يمكن لأحد أن يعرف أنّها اتّصلت به. أجابها صوت رجل بعد الرنّة الأولى.

سألها: «هل هو جاهز؟».

«ليس بعد».

«تذكّري عدم إخباره الكثير».

«بالطبع، أذكر. فأنا أقوم بهذا العمل منذ وقت طويل بما فيه الكفاية لأفهم القواعد. يجب إعطاؤه أقلّ قدر ممكن من المعلومات، لتكون ردود فعله حقيقية. فهذا ما نحتاج إليه، نحتاج إلى عواطف حقيقية».

«وهـل تفهـم الخطر الذي سـيواجهه؟ قد يتـأذّى، حتّى إنّه قد يموت».

«علينا المجازفة. وبعد قول وفعل كلّ شيء، لا تعود التضحية بالنفس هي أسوأ سيناريو. أعرف على الأقلّ حادثة واحدة أدّت فيها التضحية بالنفس أثراً إيجابياً».

تعالت ضحكته.

«لا يجدر بك أن تقول لي أشـياء من هذا القبيل، فقد أشـعر بالإهانة».

«أنا أعتمد على حسّ الفكاهة السوداء لديك».

«ليس فيّ شـيء أسـود سـوى حسّـي بالفكاهة. هل يسـير كلّ شيء وفقاً للخطّة».

«أجل».

«حسناً، عليّ أن أغلق الخطّ. حظّاً موفّقاً».

أغلقت المرأة الخطّ وهي تبتسم لنفسها.

لم تكن هي من يحتاج إلى الحظّ حاليّاً، على عكس أشخاص آخرين.

الناس يعشقون الأبطال. يريدون أن يروا، ويسمعوا، ويقرأوا كيف ينتصر الخير دوماً على الشرّ. يريدون أن يختبروا كيف يقهر البطل ما لا يُقهر، ويهزم ما لا يُهزم، ويقضي على الشرّ. يتوقون إلى قصص يصبح فيها المستحيل ممكناً عبر تدخّل بطل شجاع يفيض بالخير.

على البطل أن يكون متعاطفاً وودوداً. ويجب أن يكون في الوقت نفسه قريباً من الناس وأعلى منهم بعض الشيء، لكن لا ينبغي له أن يكون كثير التفوّق. ولا بدّ له من أن يُحطَّم تقريباً، لكي ينهض أقوى من ذي قبل، ويخوض المعركة النهائية. على البطل أيضاً أن يكون ضعيفاً من نواحٍ معيّنة، لكي توجّه إليها القوّة المعادية ضرباتها.

لا يقلّ الخصم أهمّية عن البطل، لا بل قد يفوقه أهمّية بالنسبة إلى القصّة. عليه أن يكون شرّيراً، وقوياً، وغامضاً، وقاسياً، من نوع الأشرار الذين تقشعر لهم الأبدان. فهذا النوع من الأشرار يجذب انتباه الناس كالمغناطيس. صحيح أنّهم يريدون أن يُنكروا وجود الشرّ، لكنّه يسحرهم في الوقت نفسه.

إنّهم يلتهمون الشرّ حتّى يمرضوا. ويريدون أن يأتي شخص

ويشفيهم من المرض. يريدون بطلاً.

ولا تكون قصّة البطل ناجحة من دون وقوع خسائر. يجب أن يموت أشخاص بحيث يبدو الناجون أغلى بكثير.

وحده الموت يصنع الأسطورة.

الجمعة، 17 يونيو

الصباح الباكر

4

كان ثمّة ثقب في السقف. حدّق إلى لوميكي كأنّه عين سوداء وعمياء، فبادلته النظر. كانت قد استيقظت تماماً.

تسلّل الضوء الأصفر لمصابيح الشارع من خلال ستائر غرفة الفندق، فيما نبح كلب في حديقة مجاورة. كانت الساعة الثانية صباحاً، ولا يبدو أنّ حرارة النهار الخانقة تدنّت ليلاً، ذلك أنّ فراش لوميكي كان مبلّلاً بالعرق. نهضت لفتح النافذة، وشدّت بقوّة إلى أن تمكّنت أخيراً من فتح تلك النافذة التي تورّم إطارها مع الزمن. عندئذٍ انسكب هواء الليل الرطب في الغرفة، يرافقه ضجيج السيّارات الذي تتخلّله أصوات الأبواق وأنين الفرامل. ضغط أحدهم على فرامل سيارته مُصدراً صوتاً قوياً. بينما بدأت مجموعة من المحتفلين العائدين من سهرتهم بالغناء. وكان الشيء الوحيد الذي تمكّنت من فهمه من أصواتهم المتنافرة هو أنّهم كانوا يغنّون باللغة الفرنسية على الأرجح.

انحنت لوميكي على حافة النافذة. مع أنّ الهواء في الخارج كان حارّاً تماماً كما في الداخل، إلاّ أنّ النسيم الخفيف جفّف عرقها. أرادت الاستحمام، لكنّها وجدت ذلك بلا جدوى لأنّها مضطرّة إلى الاستحمام مجدّداً في الصباح، كما أنّها لم تشعر بالرغبة في إيقاظ نصف النزلاء بسبب قعقعة أنابيب المياه. فكّرت

للحظة أنّها قد تكون جائعة، لكن سرعان ما رفضت فكرة تناول الطعام. كلّ ما كان لديها هو معجّنات من صباح أمس، من تلك التي تُصنع بأشكال مختلفة وتبدو لذيذة، لتكتشف دائماً أنّها من نفس العجين لكن بحشوات مختلفة. بعضها حلو، وبعضها مالح، لكنّها تخلّف جميعها طبقات دهنية على سقف حلقها.

أيقظها إمّا الحرّ، أو كابوسها، أو كلاهما. وربّما كانت الملاءات الرطبة هي التي سبّبت الكابوس. كان هذا الأخير مألوفاً، لكنّها لم تره منذ سنوات. فبعدما بدأت ترتاد المدرسة، حلّت مكانه أحلام عن مضايقات الزملاء، وكانت الكوابيس تستمرّ بعد طلوع الشمس، وتتكرّر حتّى يختلط الواقع بالحلم، بحيث لا تدري ما إذا كانت مستيقظة أم نائمة.

غير أنّ هذا الكابوس كان أقدم، يرجع إلى الحقبة التي لم تكن تعرف فيها الخوف بعد.

في الحلم، تقف لوميكي أمام مرآة كبيرة. كانت صغيرة، في الثانية من عمرها تقريباً. في البداية، لا ترى في المرآة سوى نفسها والغرفة المظلمة التي تقف فيها. ترفع ذراعها، وتفعل الصورة الشيء نفسه. تبتسم، تكشّر، فتبتسم صورتها وتكشّر. بعد ذلك، ترى في المرآة فتاة أخرى تظهر خلفها في الغرفة. كانت الفتاة أكبر منها سنّاً بقليل، لكنّها تشبهها كثيراً. حتّى إنّهما ترتديان الثوب الأبيض نفسه.

تضع الفتاة يديها على كتف لوميكي، فتشعر أنّ اليدين دافئتين وآمنتين. بعد ذلك تنحني الفتاة وتهمس في أذنها «Du är min syster alltid och alltid och alltid». ستكونين أختي دائماً وأبداً.

تلتفت إليها لوميكي.

لماذا تلتفت إليها دائماً ما دامت تعرف أنّه لن يأتيها خير من ذلك؟ حتّى تلك اللحظة في الحلم تشعر أنّها بخير، وتشعر بالدفء. فجأة، يحلّ البرد، ولا تجد أحداً خلفها. تصبح وحيدة في الغرفة المظلمة، فتلتفت مجدّداً إلى المرآة. ترى الفتاة هناك، تمرّر يدها على شعر لوميكي وتشعر لوميكي بلمستها الرقيقة. وعندما تحاول لوميكي إبعاد اليد، لا تجد شيئاً.

تسألها الفتاة بحزن: «Vill du inte leka med mig?» ألا تريدين أن تلعبي معي؟

تهزّ لوميكي رأسها بعنف. كلّ ما تريده هو أن تختفي الفتاة. فهي ليست حقيقية، ولوميكي خائفة.

تقول الفتاة: «Jag blir så ledsen». هذا يحزنني.

بعد ذلك تبدأ بالبكاء. فتحاول لوميكي النظر بعيداً، والضغط على جفنيها لإغلاق عينيها، لكنّها لا تتمكّن من منع نفسها من النظر. مع أنّها تعرف، تعرف أنّها لا تريد أن ترى دموع الفتاة.

كانت الدموع حمراء. قطرات ضخمة من الدم تسيل على خدّيّ الفتاة، وتقطر من ذقنها، لتلوّث فستانها بخطوط حمراء. وعندما تنجح لوميكي أخيراً بإبعاد نظرها عنها، تنظر إلى الأسفل وترى أنّ فستانها لم يعد أبيض، بل أصبح هو الآخر ملوّثاً بخطوط من الدم.

بعد ذلك تستيقظ. دائماً في المكان نفسه.

لم تفهم لوميكي أبداً سبب هذا الكابوس. هل رأت لمحة من فيلم سينمائي مرعب عن طريق الصدفة في طفولتها؟ هل

أخبرها أحد الأولاد الأكبر سنّاً في دار الحضانة أو الملعب بقصّة مخيفة؟

غير أنّ سبب عودة الكابوس إليها الآن كان بديهياً. فالمرء لا يحتاج لأن يكون خبيراً في تفسير الأحلام لمعرفة ذلك. انعكاس لوميكي ولينكا، وادّعاء لينكا أنّهما تملكان الأب نفسه، وأنّهما شقيقتان. كانت أوجه الشبه صارخة بحيث يتعيّن على المرء أن يضغط على أذنيه لكي لا يسمعها. لكنّ ما جعل لوميكي ترتعد خوفاً لم تكن عودة هذا الكابوس بعد كلّ تلك السنوات، ما أخافها في الواقع هو ألاّ يكون الحلم مجرّد حلم.

غير أنّ هذا ليس منطقياً. فإن كانت قصّة لينكا حقيقية، وهو أمر ما زالت لوميكي غير مستعدّة لتصديقه، ليس بعد على الأقلّ، فهما لم تلتقيا أبداً من قبل. بالتالي فإنّ لوميكي الطفلة لا تملك أيّ ذكرى عن وقوفها أمام مرآة مع أختها.

لم تكن تعتقد بالرؤى، فهي بنظرها هراء وبلا معنى.

إذاً، لا بدّ أن يكون ذلك مجرّد صدفة، أو أنّها سمعت شيئاً عن غير قصد. ربّما تناهت إليها كلمة من هنا أو هناك من والديها الحريصَين عادة على إخفاء جدالاتهما، وكانت كافية لتكوّن هذه الصورة الواهية التي توسّعت في عقلها الصغير وتحوّلت إلى هذا الكابوس. بدا ذلك هو التفسير الأكثر منطقية.

تنشّقت لوميكي هواء الليل بأنفاس بطيئة وعميقة، بينما تلاشى أثر الكابوس تدريجيّاً. بدت براغ في الليل كأنّها تفوح بالأمل والوعود الضائعة. كانت عابقة برائحة التاريخ والشوارع المغبرّة. وكانت رائحتها حلوة ومالحة على السواء.

قـرّرت لوميكـي أن تتـرك النافذة مفتوحة وتحاول النوم، على الرغم من ضجيج السير والليل. لكن عندما ابتعدت عنها، فاجأها طـرق علـى البـاب، وكان قويـاً بحيـث اعتقـدت للحظـة أنّ الباب سيُقتلع من مكانه.

انتزعـت لوميكـي المـلاءة عـن السـرير، ولفّـت بها جسـدها العاري. بعد ذلك تناولت أقرب شـيء يمكنها اسـتخدامه كسـلاح لحماية نفسها، وكان عبارة عن زجاجة مياه نصف فارغة. لم تكن دفاعاتهـا قويـة، فـي حيـن توتّـرت كلّ عضلـة مـن عضلاتها وهي تحـدّق إلـى البـاب. إن اقتحم الغرفة أحد، سـتكون مسـتعدّة لركل الباب وإغلاقه في وجهه. فالباب يُفتح نحو الداخل، وهذا سيعمل لصالحها بالإضافة إلى عنصر المفاجأة.

بقيت لوميكي صامتة تماماً، وكانت ماهرة في ذلك.

عادت الطرقات أقوى من ذي قبل.

مكتبة

أملـت لوميكـي أن يـؤدّي توجيـه ضربـة قويـة بزجاجـة الماء مفعولاً لا بأس به أيضاً. أوّلاً الباب، ومن ثمّ الزجاجة. تلك كانت خطّتها المفضّلة للهجوم.

فـي تلـك اللحظـة، سُـمعت مـن الخـارج أصـوات ضحـك ومحاولات غناء.

عندئـذ اسـترخت لوميكـي وسـقطت الزجاجة مـن يدها. فقد أدركت خطأهما قبل أن يفعلا.

«أوه تبّاً! لقد أخطأنا في الغرفة. هذه رقمها 208، وليس 206». وبينمـا ذهـب السـاهرون ليطرقـوا علـى الباب المجـاور مواصلين غناءهـم، عـادت لوميكي إلى سـريرها. وعلى وقع الضجيج الآتي

من الخارج أغلقت عينيها واستغرقت على الفور في نوم عميق بلا أحلام.

كان الرجل مستيقظاً. فهو غالباً ما يستيقظ في ساعات الصباح الأولى في الوقت الذي يغطّ فيه كلّ من في المنزل في النوم. كان مثل راعٍ يحرس قطيعه. هذا ما كانوا يظنّونه على أيّ حال، ولم يكونوا مخطئين تماماً. فقد كانوا رعيّته التي يربّيهم ويسهر عليهم منذ سنوات فاقت العشرين الآن. كان صبوراً وعانى كثيراً. ولطالما قال في نفسه إنّه سيكافأ على صبره يوماً ما.

تنقّل الرجل من غرفة إلى أخرى بخطوات مكتومة. كانت الغرف خانقة ومليئة برائحة الغبار، وبأنفاس وأحلام النيام. نظر إلى الوجوه المستسلمة للنوم. فم مفتوح قليلاً، ويد تغمر وسادة كأنّها حبيب عاد بعد طول غياب. بدوا جميعاً صغاراً وضعفاء، حتّى الرجال منهم. كانوا مثل الفراشات التي يمكنه أن يمدّ يده ويلمسها. فهو قادر على سحقهم، وتعليقهم بالدبابيس، وضمّهم إلى مجموعته. يستطيع نزع أجنحتهم، أو خنقهم بالدخان، أو حرمانهم من الأوكسجين.

كان مصيرهم بين يديه.

الجمعة 17 يونيو

5

عصَر جيري هاسيك برتقالتين في كوب وشرب العصير جرعة واحدة. انتشرت النكهة الحلوة والمنعشة في فمه واستطاع تقريباً أن يشعر بامتصاص الفيتامينات في مجرى دمه لتمنحه دفعة من النشاط والحيوية لهذا الصباح. نظر من النافذة إلى المدينة التي تستيقظ على صخبها الصباحي، وبدا أنّ هذا اليوم سيكون خانقاً أيضاً. فقد غطّت السماء طبقة ضبابية من الغيوم، وحجبت شيئاً من لهيب الشمس.

ابتسم جيري لنفسه، وفكّر كيف يمكن أن يبدو بالنسبة لمن يتواجد في الخارج، وهو جالس في شقّته يشرب عصير البرتقال الطازج. كان وسيماً بتسريحة شعره الأسود الكلاسيكية، وسرواله الضيّق، وقميصه الأبيض، بحيث بدا كأنّه خارج من أحد الإعلانات. كان تجسيداً للنجاح والحيوية.

كاد جيري يضحك بصوت عالٍ. فهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، ومع ذلك يملك وظيفة أحلامه. وكلّ المؤشّرات تدلّ على أنّه يتقدّم في مهنته صعوداً. كان يعمل محقّقاً صحفياً في التلفزيون، ويمكنه بسهولة أن يصبح النجم التالي في هذا المجال. سيتمكّن من تأسيس برنامجه الخاصّ قبل بلوغ الثلاثين. لم يكن مرتبطاً بعلاقة جادّة، والأمر لا يرجع إلى قلّة الخيارات،

بل هي مسألة خيار شخصي. فجيري ليس مستعدّاً لأيّ التزامات جدّية بعد، بل يريد أن يكون حرّاً، وأن يغامر ويستمتع بكلّ التنوّع الذي يقدّمه له العالم. لاحقاً، يمكنه الاستقرار بعد بضع سنوات، عندما يعثر على المرأة التي تثير اهتمامه بما فيه الكفاية ليرتبط بها مدى الحياة.

كان جيري هاسيك يعيش حلمه على أكمل وجه، ويستمتع بكلّ دقيقة منه. لم يكن واثقاً ما إذا كان يستحقّ منصبه أو هذه الحياة التي يعيشها، لكنّه ليس مستعدّاً للتخلّي عنها.

كان الأصغر بين خمسة أشقّاء، وقد تعلّم أن يهتمّ بنفسه وأن يقتنص الفرص متى أُتيحت له. لم يكن يوماً تلميذاً لامعاً، لكنّه كان متعطّشاً للمعرفة وموهوباً في إيجاد المعلومات التي تساعده على المضيّ قدماً. في بعض الأحيان، تكون المعلومات مفيدة له ومؤذية للآخرين. فعندما اكتشف جيري العلاقة التي تجمع بين أستاذ التاريخ وبديلة أستاذ الرياضيات – وهو أمر شكّ به في البداية، ثمّ تأكّد منه بشكل حاسم عندما فتح باب غرفة النسخ في اللحظة الخاطئة بالنسبة إليهما والمناسبة بالنسبة إليه – لم يتردّد للحظة واحدة، بل طلب علامات أعلى في التاريخ وفي الرياضيات، وبالطبع حصل عليها.

كانت المعلومات الصحيحة تفتح الأبواب المغلقة. وقد أدرك جيري في وقت مبكر جدّاً أنّ لديه قدرة على اشتمام الأخبار، لذلك، سرعان ما شقّ طريقه في مجال الصحافة.

فكّر بالقصّة التي يعمل عليها الآن، وأحسّ بقشعريرة حماسة تسري في جسده. ستكون قصّة ضخمة، وستشكّل ضربته الكبرى.

ما إن ينشرها، حتّى يعرف الجميع اسمه ووجهه.

كانت مختلفة تماماً عن القصص الخفيفة التي يعمل عليها عادة. احتجاجات على الحكومة، تأثير أزمة اليورو على المواطن العادي، ارتفاع أسعار الموادّ الغذائية من وجهة نظر أصحاب المتاجر، أخطاء في ترميم المباني التاريخية. كان يعمل دائماً على المواضيع التي يطلبها رؤساؤه. وقد حاول أن يكون دقيقاً ومبدعاً، وأن يقدّم منظوراً جديداً لم يفكّر فيه أحد من قبل. لكنّه لم يشعر يوماً بحماسة حقيقية تجاه قصّة كما يحدث معه الآن.

كانت هذه القصّة هامّة، تنفطر لها القلوب، ذلك أنّها تشتمل على عنصر إنساني. إنّها صادمة وتستحقّ العرض.

لم يؤدِّ جيري دور الإنسان الصالح. يمكنه الاعتراف في الواقع أنّ رغبته في التفوّق على بقيّة البشر تحفزه بقدر تعطّشه للمعرفة. أجل، يريد أن يكون بطلاً. فهو ليس من أولئك الذين يحافظون على موقعهم في الخلف، ويكتفون بكشف الحقيقة. يريد أن يراه الناس، وأن ينال المجد والثناء. يريد أن يذكر الناس اسمه ووجهه بقدر القصّة التي يرويها لهم. لكن بالنسبة إليه، لا يمكن الفصل بين الحقيقة والشهرة، فهما وجهان لعملة واحدة. قول الحقيقة يجلب الشهرة، وتوقه إلى الشهرة يضاعف من حوافزه للعمل على كشف الحقيقة.

للمرّة الأولى في حياته، يعمل على قصّة سيكون لها أهمّية حقيقية وستجذب اهتمام جمهور واسع. فقد عكف لأشهر على دراسة سجلّات الأهالي وتاريخ الأسر. وفنّد تقارير الشرطة بحثاً عن أدلّة وتناقضات. كما أجرى مقابلات مع أشخاص أبدوا تخوّفاً

كبيراً بحيث منعوه من تصوير وجوههم أو استخدام أسمائهم. كان جيري يعرف أنّ المادّة التي بين يديه خطرة، ولهذا السبب كانت قيّمة للغاية.

وبينما يراها البعض سماوية، يجدها هو جهنّمية.

الآن حانت اللحظة التي يريد فيها جيري خوض الظلام، فعلياً. إذ عليه العثور على شخص يجري معه مقابلة ويكون على استعداد للتحدّث أمام الكاميرا، حتّى لو كانت الصورة ضبابية، والشخصية مجهولة، مع تعديل الصوت رقمياً. عليه أن يرى الأشياء بأمّ عينيه.

كان الحرّ خانقاً. وبدا أنّ شيئاً ما في الجوّ يهدّد أنّها سترعد، وقد تهبّ عاصفة كاملة، لكن لا مؤشّرات من هذا القبيل في السماء.

تمطّى جيري ثمّ ارتدى سترته. حمل على كتفه حقيبته السوداء الجديدة التي تحتوي على أرفع كمبيوتر محمول في السوق، بالإضافة إلى موادّ أخرى أكثر تقليدية لتدوين الملاحظات. فقد تعلّم أنّه في بعض المقابلات، يُضفي دفتر الملاحظات الصغير والقلم جوّاً ضرورياً من المصداقية والثقة. أمّا النقر على لوح المفاتيح فيضع مسافة كبيرة بينه وبين الأشخاص الذين يقابلهم. فعلى الصحفي أن يعرف كيف يكون حاضراً بشكل حقيقي بالطريقة المناسبة. ولا ينبغي عليه أن يضغط أو يبدو متلهّفاً جدّاً. فمن الأهمّية بمكان أن يعرف كيف يصغي بصبر، وأن يطرح الأسئلة المناسبة، وأن يبدي اهتمامه، لكن من دون تطفّل.

ينطبق كثير من قواعد إجراء مقابلة جيّدة على كيفيّة الارتباط بامرأة.

وجد جيري نفسه يدندن إحدى أغنيات كارلي راي يبسن

الجديدة التي تحمل عنوان «اتّصل بي ربّما».

ربّما يذهب في آخر النهار للاسترخاء في أحد المقاهي لتناول الشراب ومشاهدة السائحات، ومحاولة إجراء مقابلات معهنّ. وعد جيري نفسه أن يقوم بذلك إن أحرز تقدّماً ملحوظاً في قصّته اليوم.

النظام يجلب الأمان، ويؤسّس منزلاً، ويشغّل أسرة. من دون نظام، قد نضلّ الطريق، ونصبح تحت رحمة رغباتنا التي تُغرقنا في الظلام والفوضى.

لهذا السبب نحتاج إلى النظام. فالنظام هو حارسنا.

أهمّ قاعدة هي التالية: العائلة مبجّلة. وكذلك هي شؤون العائلة، ولا ينبغي أن تنتمي لأحد من خارجها. نحن لا نتحدّث عن شؤون العائلة، فقانوننا هو الصمت. ولو حاول أحدهم أن يسأل عن شؤونها الداخلية، لا نجيبه بأيّ حال من الأحوال.

لذلك كلّنا نعرف أنّ من ينتهك هذه القاعدة الهامّة ويُخطئ في حقّ العائلة لا يجب أن ينجو من العقاب. يجب إسكات كلّ من يُكثر من الكلام. ويجب خنق كلّ الكلمات التي تحاول تلطيخ بياضها الناصع.

إن تكلّم أحد، نصبح كلّنا عرضة للخطر.

ولا يجوز أبداً أن تتفوّق إرادة شخص واحد على إرادة العائلة.

6

في البداية، فكّرت لوميكي أنّها ستعتاد على هذا المشهد، وأنّه لن يخطف أنفاسها في كلّ مرّة، لكنّها كانت مخطئة. إذ تبدو براغ ساحرة دائماً من الأعلى. بالطبع، كلّ شيء يبدو أجمل من الأعلى، لأنّ البصر يتمكّن من التجوال بعيداً في الأفق. كانت لوميكي تحلم في العيش يوماً ما في شقّة ذات نوافذ تطلّ على المدينة. لكنّها لم تقرّر بعد أيّ مدينة. في الأيّام التي عاشتها في براغ، بدأت تشعر على نحو متزايد أنّ المدينة لا ينبغي أن تكون فنلندا بالضرورة. إذ يضمّ وسط أوروبا خياراً أكثر جاذبية بكثير. فبإمكان المرء هنا أن يشتمّ رائحة التاريخ في الشوارع بطريقة مختلفة. كما أنّ خطوات الناس هي أكثر استرخاءً، ومن الأسهل أن يذوب المرء في الحشد ويختبئ.

بالنسبة إلى لوميكي، تُعتبر قلعة فيشيهراد من أجمل الأماكن في براغ. ولم يعد يزعجها إطلاقاً اختيار لينكا لهذا المكان. فالتلّة لا تجذب حشوداً كبيرة من السيّاح بقدر ما يفعل وسط المدينة أو قلعة براغ. كما أنّها بعيدة عن ضجيج المرور وتنعم بالهدوء، والاسترخاء، والخضرة.

جلست لوميكي على مقعد خشبي دفّأته الشمس، وملأت رئتيها وحواسّها بالهواء. أغمضت عينيها، وشعرت أنّ الزمن

يمكن أن يتوقّف في هذه اللحظة. يمكنها أن تكون هنا وحسب، في منتصف هذا الصيف، من دون أن ترغب في الذهاب إلى أيّ مكان أو أن تتوق إلى أيّ شخص، ما دامت تسيطر على أفكارها. يمكن للساعات أن تنقضي من دون أن تلاحظ. فيتحوّل الصباح إلى عصر، والعصر إلى مساء. ويمكن أن تستغرق لوميكي في النوم ثمّ تستيقظ مجدّداً، لتواصل التحديق إلى هذا المشهد الذي لن يصبح قديماً أبداً، بل سيزخر دائماً بتفاصيل جديدة.

شعرت لوميكي بوصول لينكا قبل أن تسمع وقع خطواتها على الطريق المكسوّ بالحصى. فقد اشتمّت مزيج الروائح نفسه كما في اليوم السابق، لكنّه اختلط اليوم برائحة حادّة. أهي رائحة العرق؟ هذا ممكن، لكن في أيّام حارّة كهذه، يفوح العرق بسرعة أكبر ويكون مخفّفاً أكثر. لا يكون عادة بهذه القوّة. كلاّ، هذه رائحة شيء آخر.

كانت لينكا تنضح خوفاً.

جلست بجانب لوميكي. أبقت هذه الأخيرة عينيها مغمضتين، وللحظة لم تقل لينكا شيئاً. حاولت لوميكي أن تعرف كيف تشعر. هل تشعر أنّها جالسة بجانب شقيقتها؟ هل هذه الفتاة مألوفة بالنسبة إليها على مستوى أعمق؟ هل تشعر أنّه من السهل والطبيعي أن تجلسا بصمت جنباً إلى جنب؟

كلاّ.

كانت لينكا خائفة ومتوتّرة، وكانت لوميكي عصبيّة. غير أنّها أدركت أنّها لن تستنتج شيئاً من ذلك. فهذه هي المرّة الثانية التي تلتقيان فيها، ولا تعتقد لوميكي أنّها ستكون قادرة على الإحساس

برابط وراثي. إنّهما غريبتان تماماً على مختلف الصعد.

لم تلتقِ لوميكي في حياتها سوى بشخص واحد شعرت أنّه مألوف على الفور، وما زال هذا الأمر يدهشها.

بادرتها لينكا: «لم أكن واثقة أنّك ستأتين».

فتحت لوميكي عينيها، ولبضع ثوانٍ أبهرتها الشمس.

«أتيتُ بالطبع».

عادة، تبذل لوميكي جهدها لكي لا تتدخّل في أمور لا تعنيها. وكان هذا صعباً، أكثر من أيّ شيء.

قالت لينكا: «ربّما يجدر بي إخبارك الآن عن عائلتي».

تردّدت مع كلّ كلمة، كأنّ ما تقوله كريه أو يسبّب لها الألم. كانت الكلمات مثل الجمر في فمها. وكانت تنظر حولها أكثر من يوم أمس، بحيث شبّهتها لوميكي بأرنب يتوقّع أن ينقضّ عليه ثعلب أو صيّاد في أيّ لحظة، أو يخشى أن يقع في أحد الأفخاخ. تخيّلت لوميكي الفخّ يُطبق على قدم الأرنب، والدم يسيل على فرائه الأبيض، ثمّ تذكّرت حلمها وارتجفت.

«عندما توفّيت والدتي عرفت للمرّة الأولى بوجود أقارب آخرين لي في براغ. غير أنّ أمّي لم تتحدّث عنهم، ولا أفهم السبب، مع أنّهم أناس طيّبون».

مجدّداً تتحدّث عن الناس الطيّبين، الأمر الذي بدا غريباً بالنسبة إلى لوميكي. غير أنّها لم تستطع فهم السبب.

سألتها: «كيف عثرتِ عليهم؟».

هزّت لينكا رأسها وابتسمت قليلاً.

«لست أنا من عثر عليهم، بل هم من عثروا عليّ. أتوا إليّ

في اليوم التالي بعد الحادثة وقالوا إنّهم سيعتنون بي، وسيهتمّون بكلّ شيء، وهذا ما فعلوه. تولّوا ترتيبات الجنازة وكلّ الإجراءات الرسمية. واتّصلوا بصاحب المنزل وبالسلطات الضريبية وكلّ الأماكن التي ما كنت لأعرف بها. في الواقع، ما كنت لأبقى على قيد الحياة لولاهم. لقد أنقذوا حياتي».

أصبحت ابتسامة لينكا أثيرية، ينيرها من الداخل ضوء غريب فاجأ لوميكي، وأحسّت أنّه من عالم آخر. من الطبيعي أن تشعر لينكا أنّهم أنقذوها بعد تجربة كهذه. فقد كانت أصغر بعامين من سنّ لوميكي الآن عندما توفّيت أمّها. تساءلت لوميكي ماذا كانت ستفعل لو أنّ والديها توفّيا فجأة وهي في الخامسة عشرة. ولو أتى أحدهم ووعدها أنّه سيهتمّ بكلّ شيء، لركعت عند قدميه على الأرجح ولشعرت بامتنان كبير له، لمدّة من الزمن على الأقلّ.

سألتها لوميكي: «أهما زوجان أم...؟» ليس من الواضح عدد الأشخاص الذين تتحدّث عنهم لينكا.

«كلاّ، إنّهم...».

بقيت جملة لينكا معلّقة، ولاحظت لوميكي أنّ تعبيرها تغيّر من الابتسام إلى الذعر. نظرت لينكا من فوق كتف لوميكي، فالتفتت هذه الأخيرة إلى الخلف لترى رجلاً ملتحياً يضع نظّارة سوداء ويرتدي ملابس قطنية بيضاء. لم تجد الوقت لتنظر إليه عن كثب لأنّ لينكا أمسكت بكتفها فجأة، ثمّ نهضت، وجرّتها بعنف.

همست في أذنها وهي تفرّ هاربة: «اركضي!».

لم تنتظر لوميكي لطرح أيّ أسئلة، بل انطلقت تعدو في أعقاب لينكا على الطريق المرصوف بالحصى، باتّجاه دار العبادة

الكبيرة المسماة بطرس وبولس في وسط القلعة. وكانت الأحجار المستديرة التي تدوسان عليها زلقة بحيث أوشكت لوميكي أن تتعثّر مراراً. عندما ألقت نظرة سريعة إلى الخلف، لم تجد من يتبعهما. كانت لينكا تتقدّمها بسرعة مذهلة بحيث وجدت لوميكي صعوبة في مواكبتها. فهي تجري كمن اعتاد على الهرب.

في دار العبادة، توقّفت لينكا أخيراً وهي تلهث بقوّة، وبدت عيناها مليئتين بالذعر.

قالت: «لو كان هو لتبعنا، لا شكّ أنّه شخص آخر. فالنظّارة الشمسية جعلت من الصعب تمييزه».

شعرت لوميكي بالضياع.

قالت: «قبل أن نبدأ مجدّداً بالجري كالمجانين، يسرّني أن أعرف ماذا يجري».

مسحت لينكا العرق عن حاجبيها.

«نحن لسنا في خطر، ولكنني لا أريده أن يعرف بهذه الطريقة، لأنّه لن يفهم. لكنّه ليس هو، لذا...».

كانت لينكا تتحدّث كأنّها بمفردها، الأمر الذي أزعج لوميكي. فمزاج لينكا يتقلّب بسرعة كبيرة بحيث تصعب مجاراتها.

قاطعتها لوميكي: «عمّ تتحدّثين؟».

نجحت نبرتها في إعادة لينكا إلى اللحظة الراهنة.

«ربّما يجدر بي أن أصطحبك لمقابلة العائلة ببساطة. فالصراحة هي أفضل الحلول. وهم سيعرفون ماذا يفعلون».

لم تشعر لوميكي بالارتياح إطلاقاً لنبرة لينكا.

7

بدا المنزل الداكن متكاسلاً حتّى تحت أشعّة شمس الصيف الساطعة. كان منزلاً خشبياً قديماً مؤلّفاً من ثلاثة طوابق، ومرفقاً ببرج. في الواقع، بدا شبيهاً على نحو مدهش بنموذج منزل المومين لتوليكي بياتيلا. ليس البناء المخروطي البسيط من النسخة اليابانية لقصص المومين أو من منتزه عالم المومين، بل أقرب إلى النموذج المتداعي بزواياه العديدة، وبنوافذه وشرفاته، الذي كانت لوميكي تحبّ تأمّله وهي طفلة عندما تزور متحف المومين في مكتبة مدينة تامبيري.

لكن في حين أنّ الممرّات الغامضة والزوايا غير المتوقّعة في منزل المومين تحفز الخيال، يبدو منزل أسرة لينكا كئيباً على نحو غريب. ربّما كان السبب يرجع إلى حالته السيّئة، بطلائه القديم، وأنابيبه الصدئة، وشرفاته المتهالكة، ونوافذه المتّسخة التي تصدّع بعضها. لقد كان في حالة تستدعي هدمه لو كان في فنلندا. تسلّقت جدرانَه النباتات المتعرّجة وصولاً إلى السطح. كان المنزل عاجيّ اللون على الأرجح في ما مضى، غير أنّ لونه أصبح الآن مائلاً إلى الرمادي غير المنتظم.

لا يبدو أنّ الفناء حظي باهتمام كبير أيضاً. كان العشب قصيراً، لكنّه أصفر ويابس في بعض الأماكن. أمّا عنصر الزينة الوحيد فتمثّل

في سقف من شجيرات الورد الأبيض على طول الممشى الأمامي. وحتّى بعض بتلات الورد كانت مصفرّة، ورؤوسها محنيّة بأسى. في الجزء الخلفي من الفناء، رأت بناء حجرياً صغيراً وغريباً، لم تستطع أن تتخيّل وجهة استعماله. فقد كان ضيّقاً جدّاً ليُستعمل كمخزن للأدوات، لكنّه لا يُشبه الكوخ أيضاً.

لم يكن في المنزل أو الفناء شيء يغري بدخولهما، لا سيّما مع السور الحديدي الأسود الضخم الذي يحيط بالبناء، والذي بدا عالياً ومخيفاً. حتّى إنّ أعمدته المسنّنة الحادّة نقلت رسالة واضحة: لا تفكّر حتّى بتسلّقه. وبدت البوّابة كبيرة ومنيعة.

لم يكن المنزل في وسط البلدة بالتأكيد. اصطحبت لينكا لوميكي أوّلاً بالمترو، ومن ثمّ بالباص، ثمّ قطعتا شوطاً طويلاً سيراً على الأقدام قبل أن تصلا إلى البيت. على أقلّ تقدير، هما على طريق غير مأهول عادة، كما أنّ الجوار خلا من الأبنية السكنية.

نظرت لينكا إلى لوميكي وسألتها بتردّد: «هل تصدّقين أنّك أختي؟».

شعرت لوميكي بعدم الارتياح، وأجابتها بصراحة: «لا أدري. كلاّ ما تقولينه يبدو ممكناً، ويفسّر الكثير، لكن -».

قاطعتها لينكا فجأة: «لا يمكنك الدخول ومقابلة الأسرة إن لم تصدّقي ذلك».

ما الذي تعنيه حبّاً بالله؟ هل قطعتا كلّ هذه المسافة سدىً؟

شرحت لينكا قائلة: «لدينا قاعدة تمنع دخول غير الأقارب من هذه البوّابة. وهذه القاعدة مطلقة».

كانت نظرة لينكا ثابتة على نحو غريب، كأنّها وجدت فجأة

اليقين الداخلي الذي كانت تفتقد إليه، كأنّ قربها من منزلها منحها القوّة لتقف أكثر استقامة بقليل، وتتحدّث بلهجة أكثر حزماً.

راحت لوميكي تزن جوابها. لا يمكنها القول إنّها صدّقت تماماً قصّة لينكا، فالتفاصيل كثيرة لتصدّقها دفعة واحدة. كما أنّ لوميكي سمعت في حياتها أكاذيب كثيرة بدت حقيقية للوهلة الأولى، بحيث أصبحت أكثر حذراً. لقد تعلّمت أنّ كلّ الناس قادرون على الابتسام بلطف والقَسَم على صداقتهم لها في لحظة، ليبصقوا في وجهها في اللحظة التالية.

لطالما ردّد لها فتوّات المدرسة أنّها إن نفّذت طلباتهم سيكفّون عن إذلالها ومعاملتها بعنف، لكنّهم لم يصدُقوا يوماً. لا بل جرّوا تلامذة آخرين في مخطّطاتهم ورشَوهم لكي يلفّقوا لها الأكاذيب، كأن يخبروها أنّ مسابقة اليوم التالي ألغيت، أو أنّ المديرة تطلب منها الحضور إلى مكتبها. والإذلال الذي كانت تحسّ به لوميكي عندما تدرك أنّها وقعت في فخّ آخر من أفخاخهم آلمها كثيراً.

لا تصدّقي أيّ شيء إن لم تتحقّقي منه بنفسك.

حدّقت نوافذ المنزل المتّسخة إلى لوميكي مثل أعين غائمة. لمست البوّابة الحديدية التي أصبحت حارقة تقريباً بفعل أشعّة الشمس، وشعرت أنّها أصبحت أقرب إلى اكتشاف سرّ عائلتها من ذي قبل. وإن قالت إنّها لا تصدّق بعد أنّها أخت لينكا، ستخسر فرصتها لكشف الحقيقة.

بدأت لوميكي تقول: «أنا-»، لكنّها صمتت عندما رأت رجلاً يظهر في الطابق الثاني وينظر إليهما. بدا الرجل في العقد الخمسين من عمره، قصير القامة، وضيّق الكتفين. خطّت جبينه تجاعيد

عميقة، وشاب الغضب نظرات عينيه السوداوين. ارتجفت لوميكي. وعندما تبعت لينكا نظراتها، اختفى الرجل بسرعة. أخرجت لينكا مفاتيح البوّابة من حقيبتها، ثمّ حملتها بيدها منتظرة جواب لوميكي.

في تلك اللحظة، فُتح باب المنزل بقوّة، وخرجت امرأة في العقد السادس من عمرها ترتدي ملابس كتّانية خفيفة شبيهة بملابس لينكا؛ تنّورة بسيطة طويلة، وقميص طويل الأكمام. كان شعرها الرمادي مجموعاً في عقدة مرتّبة خلف رأسها. قبل أن تصل إليهما، بدأت تتكلّم مع لينكا بلغة تشيكية سريعة ومضطربة. ومن وقت إلى آخر، كانت توجّه إلى لوميكي نظرات عدوانية، مثل الرجل الذي ظهر عند النافذة. حاولت لينكا أن تجيب، وبدا من نبرتها أنّها تحاول الدفاع عن نفسها وشرح موقفها. ثمّ أمسكت بيد لوميكي ورفعتها إلى الأعلى كما لو أنّها تؤكّد للمرأة أنّها من لحمها ودمها. لكنّ لوميكي ودّت لو تنزع يدها من قبضتها، فهي لا تحبّ أن تُعامل كما لو أنّها بيدق شطرنج.

غير أنّ المرأة المسنّة لم تكفّ عن لومها، بل علا صوتها. فجأة فتحت البوّابة، ثمّ أمسكت لينكا بقوّة من ذراعها بحيث صرخت ألماً، وأفلتت يد لوميكي.

همست لينكا للوميكي: «لا يمكنك الدخول اليوم».

فهمت لوميكي ذلك أساساً. فهذا الاستقبال لم يكن بارداً، بل جليدياً.

جرّت المرأة لينكا عبر البوّابة ثمّ أغلقتها في وجه لوميكي. حتّى إنّها لوّحت بعد ذلك بيدها، وتلفّظت بشيء كالهسيس بدا مكوّناً فقط من أحرف ساكنة. لم تكن لوميكي بحاجة إلى كلّ

ذلك لتفهم أنّه غير مرغوب فيها.

خفضت لينكا رأسها باستسلام، بينما قادتها المرأة إلى الباب وهي قابضة على ذراعها بقوّة. فجأة، بدت لينكا مثل فتاة صغيرة تلقّت توبيخاً للتوّ، وهي تعرف أنّ عقاباً أكثر قسوة ينتظرها في الداخل. لم تنظر إلى الخلف. ارتعدت لوميكي، ووجدت الموقف غريباً. لماذا تسمح امرأة ناضجة أن تعامَل على هذا النحو من دون اعتراض؟ كانت لوميكي قد لاحظت جيداً أنّ لينكا ليست فتاة عشرينية عادية. مع ذلك، يشير هذا الخضوع التامّ أنّ للمرأة نفوذ غير منطقي عليها.

لا تطيق لوميكي رؤية أشخاص مضطهدين. لذلك أتى ردّها سريعاً.

صاحت على أمل ألاّ تكون المرأة خبيرة باللغات الاسكندينافية: «I morgon klockan sjutton i slottets trädgård!» غداً عند الساعة الخامسة في حديقة القصر.

لم تلتفت لينكا، لكنّ لوميكي لاحظت أنّ ظهرها أصبح أكثر استقامة بقليل، فعرفت أنّها سمعتها. بعدما أُغلق الباب على المرأة وعلى لينكا، وقفت لوميكي وتأمّلت المبنى لبضع ثوانٍ أخرى. مع أنّها لم تجده أكثر جاذبية ممّا بدا عليه للوهلة الأولى، إلاّ أنّها اتخذت القرار بدخول تلك البوّابة وذلك الباب قبل انتهاء زيارتها لبراغ، لتكتشف أسرار ذلك المنزل الغامض.

السبت، 18 يونيو

الصباح الباكر

8

استيقظت لوميكي وهي تتصبّب عرقاً. نظرت إلى ساعتها، فوجدتها 03:02 صباحاً. كانت الملاءة التي تغطّيها رطبة، فأزاحتها جانباً، غير أنّ ذلك لم يخفّف من وطأة الحرّ في تلك الليلة ومن تأثير حلمها.

لماذا انتهى؟

لم تأبه لوميكي بالطقس. فهي لا تستطيع فعل شيء حياله. لكن لماذا لا يزول ألم قلبها؟ لماذا تعذّبها هذه الأحلام؟ ولماذا يعذّبها شوقها في نومها مع أنّه بلا جدوى؟ مضى عام على ذلك، ولم تدم تلك العلاقة سوى صيفاً واحداً. ألا ينبغي أن تتلاشى ذكرى صيف واحد بعد عام؟ أو أن تصبح على الأقلّ أسهل وأخفّ وطأة؟

مع تحسّن الطقس واقتراب الصيف وحلوله، تفاقم هذا الإحساس. فقد أيقظ حرّ الصيف ذكريات أرادت نسيانها. كانت تشعر كأنّ النسيم الخفيف يداعب بشرة ذراعها العارية، بينما بثّت الشمس الدفء فيها مثل نظرات حبيبها. استيقظت أحاسيسها مع مجيء الصيف، وتاقت للمسة التي اعتادت عليها كلّ يوم منذ عام.

الشوق هو إحساس يصعب العيش معه. فهو لا يستأذن، ولا يولي اهتماماً للزمان أو المكان. إنّه ساحق ومتطلّب، قويّ وأناني.

يلقي بظلّه على الفكر، أو يزيده إشراقاً وحدّة. يطلب الشوق استسلاماً غير مشروط. وقد حاولت لوميكي مقاومته، وهُزمت أمامه. لم تكن ترغب في الاشتياق إليه، لكنّها تفعل. لا تريد التذكّر، لكنّ أحلامها تتذكّر، وجسدها يذكّرها باستمرار.

مع ذلك، كانت تعرف أنّ كلّ هذا غباء، وأنّ شوقها بلا جدوى.

أتوق إلى أرض لم يعد لها وجود.

هكذا كان حالها. كانت لوميكي مشتاقة إلى شيء ليس موجوداً ولا يمكنها بلوغه. تتوق إلى شخص لم يرغب أن يكون لها، شخص ادّعى أنّه لا يستطيع أن يكون لها. خرج من حياتها ولم ينظر إلى الوراء. فما جدوى الاشتياق إلى شيء لا وجود له؟ تاقت لوميكي إلى الألفة، والثقة، والمشاركة، مع أنّها فهمت الآن بوضوح مؤلم أنّ الشخص الذي تشتاق إليه لا يستطيع أن يقدّم لها هذه الأشياء، وربّما لم يفعل أبداً.

لقد افترضت لوميكي ذلك وحسب. تخيّلته، وأرادته أن يكون.

بلايز. هكذا أجابها عندما سألته عن اسمه.

«الجميع ينادونني بلايز».

«الجميع؟».

«الجميع».

هكذا حُلّت مسألة الاسم. حتّى إنّ بلايز كان يناسبه أكثر من اسمه الحقيقي، أيّاً يكن معنى «حقيقي». كان اللقب مساوياً لاسمه. ناري، وحارق، دائم الحركة كالزئبق، متقلّب، دافئ، لاذع،

من الجميل النظر إليه، لكنّه ينضح بإحساس غامض بالخطر.

مازحته لوميكي في موعدهما الأوّل قائلة: «لا تقل لي الآن إنّ لديك وشماً لشعلة في مكان ما لا يراه أحد».

«لا بل أسوأ من ذلك».

«كلاّ».

«بلى، لديّ مجموعة كاملة من الكرات النارية».

حدّق بلايز بتركيز إلى لوميكي من فوق فنجان قهوته. وكانت نظرة عينيه الزرقاوين الجليديتين حادّة، بحيث شعرت لوميكي أنّ وجهها تورّد بلا سبب.

بلا سبب، باستثناء أنّها بدأت تتساءل أين تقع تلك الأوشام، بما أنّها غير ظاهرة. فمن الواضح أنّها ليست على ذراعيه العاريتين. ربّما على ظهره، أو بطنه...

بدأ بلايز يبتسم من دون أن يقول شيئاً.

لم تستطع لوميكي أن تمنع نفسها من السؤال: «ماذا؟».

«تعبيرك».

شعرت لوميكي أنّ وجهها يزداد احمراراً، غير أنّها لم تستطع أن تمنع ذلك مهما أزعجها.

انحنى بلايز من فوق الطاولة، وأمال عنقه لكي ترى الأوشام، ففهمت على الفور.

قالت: «الجوزاء».

اعتدل بلايز، ونظر إليها متعجّباً.

«كيف عرفت؟».

«إنّها كوكبتي المفضّلة».

أسكتهما جوابها. وبدا كما لو أنّ طيفاً غريباً مرّ بجوارهما وقال إنّ شيئاً مميّزاً كان يحدث في تلك اللحظة وفي ذلك المكان. ولم يكن السبب فقط أنّ كلاً منهما طلب فنجاناً كبيراً من القهوة المرّة، أو أنّهما كانا يرتديان حذاءً قطنياً أحمر، أو أنّ كليهما يحبّان الكوكبة نفسها. في تلك اللحظة، شعرت لوميكي أنّ بلايز قد يكون شخصاً يستطيع فهمها حتّى قبل أن تتكلّم.

إنّه أوّل شخص من هذا النوع تصادفه في حياتها.

كانت لوميكي على حقّ.

تعرّفا على بعضهما على كلّ المستويات العادية، وسرعان ما ازدادت علاقتهما عمقاً وشغفاً. على الأرجح، كان من المحتمل أن تشعر بالخوف لو أنّها وجدت الوقت لذلك، فقد حدث كلّ شيء بسرعة. انهارت دفاعاتها في لحظة مع بلايز. أمامه كانت ضعيفة تماماً، وكلّ ما قاله أو فعله اندفع باتّجاهها كالرصاصة، واخترقها فوراً، وانفجر مثل مفرقعات من البهجة، والدفء، والضوء. لم يسبق لها أبداً أن عرفت شيئاً كهذا. كان إحساساً محيّراً، ومفاجئاً، ومثيراً للاضطراب.

عرفا عن بعضهما كثيراً من الأمور قبل أن يبوحا بها. عرفا من دون أن يعرفا. كانا يحزران الطعام المفضّل لكلّ منهما، ويتوقّعان كتبه المفضّلة، وما يمكن أن يجعل الآخر يبكي فرحاً أو ينتحب حزناً. عندما يتكلّمان معاً، كان ينهي أحدهما جملة الآخر، وتخطر في بالهما الأفكار نفسها، ويسمعان الأغنية نفسها. تحرّكا تماماً على الموجة نفسها على نحو لم تعتقد لوميكي أنّه ممكن. وأحسّت تقريباً أنّ ما يجري بينهما خارق، لا بل أشبه بالمعجزة.

غير أنّ لوميكي لم تعتقد فعلاً أنّ علاقتهما خارقة بأيّ شكل من الأشكال. كلّ ما في الأمر أنّهما شعرا بوجود تشابه كبير بينهما في لقائهما الأوّل بحيث انجذبا لبعضهما. استطاعا قراءة أشياء في تعابير، وحركات، ووضعيات بعضهما لم يكن ممكناً التعبير عنها بكلمات بالضرورة، غير أنّها أصبحت جزءاً من معرفتهما العميقة ببعضهما. فكلّ ما عاشاه، وشاهداه، وسمعاه، وأحسّا به، وقرآه، وتذوّقاه، واشتمّاه في حياتهما ترك أثره عليهما.

كلّ ما عاشاه تراكم في طبقات من المعرفة العميقة التي أتاحت لهما أن يعرفا أوجه الشبه بينهما بالحدس. ذاك كان الرابط بينهما. وعند حدوث شيء كهذا، لا يكون ثمّة مفرّ منه، بل عليك أن تقبل به وحسب.

هذا ما شعرت به لوميكي. حتّى إنّها لم تحاول حماية نفسها، بل انفتحت على بلايز. تركته يحتويها بلهيبه. ومع أنّها شعرت أنّها قد تحترق، إلاّ أنّها قبلت بالمجازفة. قبلت من دون أيّ تردّد.

قبل أن تتعرّف لوميكي على بلايز، اعتقدت أنّ الحميمية الجسدية ستسبّب لها معظم المشاكل في علاقاتها. فبعد سنوات من المضايقات في المدرسة، أصبحت تخشى أن يلمسها أحد، لا بل تنفر من ذلك. ولم تكن تحتمل إدخال غرباء إلى مساحتها الشخصية، وحتّى أشخاص تعرفهم. أرادت أن تكون قادرة على اختيار متى وكيف يلمسها الناس. ولم تشعر سوى نادراً بالرغبة في لمس أحدهم. هكذا كانت تظنّ أنّها لن تتمكّن أبداً من الوقوع في حبّ أحد لأنّها كانت تجد فكرة السماح لشخص ما بالاقتراب منها مُنفرة.

لكن عندما اختفت المسافة العاطفية بينها وبين بلايز بسرعة، سرعان ما أصبحت المسافة الجسدية لا تطاق. في لقائهما الثالث، كانا في شقّة لوميكي يشربان القهوة كما يفعلان غالباً، وهما جالسان إلى طاولة المطبخ في بيتها يتحدّثان ويضحكان. وغالباً ما كانت القهوة تبرد قبل أن يفرغا من شربها...

حاولت لوميكي أن تواصل الحديث كأنّ شيئاً لم يكن. غير أنّها لم تعد تدري ماذا يقول بلايز لأنّ كلّ ما تفكّر فيه هو عناقه...

فكّرت لوميكي أنّ رحلتهما بدأت للتوّ، وأحبّت عدم معرفتها أين ستنتهي.

في وقت لاحق، بدا لها من غير العادل على الإطلاق ألاّ تبلغ رحلتها مع بلايز نهايتها. فقد عرفت أنّه ما زال لديهما الكثير لمعرفته عن بعضهما، والكثير لتعليمه لبضعهما، والكثير لعيشه معاً.

9

بالطبع، عرفت لوميكي منذ البداية. منذ لقائهما الأوّل، عندما التقت نظراتها بنظرات بلايز الزرقاوين لثوانٍ طويلة. بعد ذلك، لم تتمكّن أبداً من معرفة التفصيل الذي كشف لها الأمر. أهو خطّ فكّه؟ أم كتفاه اللذان لم يكونا عريضين كثيراً مع أنّ عضلاتهما ظاهرة؟ أم صوته الذي كان ممتعاً وعميقاً لكن ليس بقدر ما ينبغي أن يكون؟ أم أصابعه التي كانت رشيقة وجميلة؟ أهي مشيته التي تنمّ عن ثقة زائدة قليلاً، والتي كانت ذكورية على نحو زائد قليلاً؟

لم يكن ثمّة صفة معيّنة واحدة. بدا بلايز حقّاً مثل صبيّ، وكان صبياً بالفعل.

لكن ليس تماماً، ليس بعد. فكيانه الجسدي كان في طور التوحّد مع كيانه الداخلي. وقد فهمت لوميكي ذلك على الفور، ولم تأبه له إطلاقاً. فبالنسبة إليها، بلايز كان هو بلايز منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها، وليس صبيّاً أو شخصاً في مرحلة انتقالية، بل إنساناً كاملاً.

لهذا السبب، استغربت عندما شرح بلايز الأمر بهذا التردّد، وبصعوبة كبيرة. أرادت لوميكي أن تطلب منه الصمت وحسب، لأنّه لم يكن ثمّة ما يقال. لم يكن يتعيّن عليه أن يكون شجاعاً ليكشف سرّه. فبالنسبة إلى لوميكي، بدت العبارات التي تصف

حالتـه غريبـة تمامـاً. ليس لأنّها كانت تخشـاها، كلاّ، بل لأنّها أتت من الخارج، من رغبة الناس في تحديد وتصنيف وتشخيص حياة الآخرين، ووضع حدود لها وتجزئتها.

بالنسبة إلى لوميكي، بلايز هو بلايز...

في الوقت نفسه، بلايز هو أيضاً لاوري، وهو الاسم القانوني الذي حمله بعد إجراء الجراحة. بنظرها، لم يكن ثمّة شيء غريب أو صعب أو إشكالي في المسألة. لكن بالنسبة إلى بلايز، لم يكن الأمر سهلاً.

«منـذ طفولتـي، أحسسـت أنّنـي أعانـي من خطب مـا، وأنّني أحمل الاسـم الخاطئ، وأرتدي الملابس الخاطئة، وأبدو بالشـكل الخاطـئ. كنـت أشـعر أنّني أتصـرّف على نحو خاطئ تماماً، أو أنّ الناس ينظرون إليّ ويفترضون شـيئاً، في حين أنّني لم أكن أشـعر إطلاقاً أنّني كما يفترضون».

«ليس عليك أن تكترث لما يعتقده الآخرون».

«لكن لوميكي، هذا العالم مليء بالأشخاص الآخرين، وعلينا جميعاً أن نتعايش معهم بطريقة أو بأخرى؛ في العمل، في ممارسة هواياتنا، في حياتنا اليومية. وليس الجميع منفتحون مثلك، وأعتقد أنّك بتّ تعرفين ذلك الآن، أنت من بين كلّ الناس».

شـردت نظـرات بلايـز، ولاحظت لوميكـي أنّ فكّه متوتّر. لم يكن من السهل احتمال البلطجة التي عانت منها في المدرسة، كما أنّ هذا الأمر لا علاقة له بالانفتاح أو التسامح. فما من شيء كان يمكن أن تقوله أو تفعله لتغيير سـلوك معذّبيها. ذلك أنّ اختيارهم لها كضحية أتى بمحض الصدفة القاسية. تعاملوا معها بعنف بكلّ

بساطة. أرادوا إيذاءها وتحطيم روحها، وهذا ما حصل.

تحوّلت أحاديث بلايز ولوميكي إلى جدالات، وتحوّلت الجدالات إلى شجارات.

وجدا نفسيهما دائماً في المأزق نفسه.

ظنّ بلايز أنّ لوميكي لم تفهم، أو تعاملت بعجرفة شديدة مع معاناته. أمّا لوميكي، فوعدته مراراً وتكراراً أنّها ستدعمه مهما حدث، لكنّ بلايز رأى أنّها لم تستطع أن تفهم ما يعانيه من ألم وعذاب وفراغ.

قال لها: «بالنسبة إليك، كان جسدك ملكك دائماً. لم تفكّري يوماً بذلك».

أقرّت لوميكي أنّ ذلك قد يكون صحيحاً، لكن لمَ يمنعها ذلك من الوقوف إلى جانبه؟

«على الأرجح، سأكون شديد العصبية خلال الفترة القادمة. وبصراحة، لا أدري ما إذا كنت سأتمكّن من احتمال نفسي. ما أعرفه هو أنّني لا أستطيع أن أكون مسؤولاً عن سعادة شخص آخر، ومن الأفضل لي أن أبقى بمفردي، لئلاّ ينتهي بي الأمر بإيذائك من دون سبب.

سرعان ما أدركت لوميكي أنّ اعتراضاتها بلا جدوى. لقد اتّخذ قراره واختار طريقه، وهذا الطريق لا مكان لها فيه.

غيّرت لوميكي وضعيتها وتمدّدت على بطنها على سرير الفندق، ثمّ لكمت وسادتها التي تغيّر شكلها منذ زمن. توالت الأفكار السوداوية في رأسها مجدّداً، تلك الأفكار التي ظنّت أنّها

دفنتها إلى الأبد.

أين هو بلايز الآن؟ ومع من؟ هل وجد صديقة جديدة يلهو معها في منزله، بعيداً عن أعين الجيران المتطفّلين؟

هل ثمّة فتاة أخرى تُضحك بلايز في هذه اللحظة، بعد إشعال النار في عينيه الجليديتين المليئتين بالبهجة؟ كان من الصعب على لوميكي احتمال تلك الفكرة، مستحيل. شعرت أنّ أحشاءها تتمزّق وأحسّت بطعم مرّ في فمها. كانت تعرف كم أنّ أحاسيسها غير عقلانية، لكنّها لم تستطع مقاومتها.

هذا أكثر ما تمقته لوميكي. أن تحبّ إلى حدّ الهوس شخصاً اختار إبعادها عن حياته. شعرت بغيرة عمياء، مع أنّها لا تعرف ما إذا كان في حياة بلايز امرأة أخرى أم لا. ربّما كان الشّك هو الأسوأ. فلو كانت تعرف يقيناً، لأحسّت بالغضب، أو المرارة، أو حتّى الحزن. لكن في هذه اللحظة، لم تكن تستطيع فعل شيء سوى التقلّب في سريرها، ولكم وسادتها والتساؤل ما إذا كان من الممكن، ربّما...

كانت لوميكي قادرة على تخيّل الأسوأ دوماً. فهي تستطيع أن تتخيّل أجمل الفتيات في العالم، وأكثرهنّ أناقة، وصاحبة أكثر الآراء منطقية، وأكثر القصص إضحاكاً، بحيث يمكنها أن تملأ بلايز فرحاً، وبهجة، وحبّاً إلى أن ينسى تماماً أنّه عرف لوميكي يوماً.

أدركت أنّها كانت تعذّب نفسها بلا سبب. ففي الصباح، كلّ ما هو أسود سيبدو رمادياً، بلا لون، تافهاً ومحرجاً مجدّداً. ستتساءل لماذا أمضت وقتها في تعذيب نفسها بهذه السخافة، وستتّخذ قراراً بعدم الشعور بالغيرة على شخص لم يعد له مكان في حياتها.

لكنّ لوميكي عرفت أنّ الليالي سترجع قريباً، ولن يردع الأفكار السوداوية رادع، بل ستجتاحها وتعذّبها بلا رحمة.

كان لقاؤهما الأخير في حديقة عامّة مطلّة على البحيرة. هبّت الرياح منذرة باقتراب الخريف، ومهدّدة بإسقاط أوراق الشجر التي اصفرّ بعضها أساساً. في الأسفل، تدافعت الأمواج البيضاء على الشاطئ المحيط بشبه الجزيرة التي أقيمت عليها مدينة الملاهي. صيفنا عاصف.

عادت كلمات بيرك من فيلم رونيا، ابنة اللصّ، إلى ذهن لوميكي. غير أنّ الصيف لم يكن عاصفاً، بل انقضى تقريباً. لقد أشرف على نهايته. بعثرت الرياح أيضاً شعر بلايز، الذي راح يتطاير. وأدركت لوميكي بثقة مؤلمة أنّها لم يعد بوسعها مدّ يدها وتسوية شعره. لم يعد لها الحقّ بلمسه. فقد نمت مسافة بينهما، وكانت أبرد من الصخر الذي يجلسان عليه، وأعرض من البحيرة الممتدّة أمام ناظريهما. غير أنّ لوميكي لم تستطع فعل شيء حيال ذلك، ولم يكن بإمكانها ردم الهوّة، أو استبدالها بالدفء الذي ما زال يشتعل بداخلها. فقد أقفل بلايز ذلك الباب، ولم يحاول حتّى النظر إلى عينَي لوميكي.

تبادلا بضع كلمات في ذلك اللقاء الأخير، لكنّ لوميكي تذكّرت الصمت أكثر. لم يكن صمتاً إيجابياً وهانئاً يشعران فيه بالأمان، كما يحدث عادة، بل صمت خاوٍ، وبارد، يعتصر الصدر. كان الصمت يصرخ مطالباً بكلمات تملأ الفراغ، لكنّ أيّاً منهما لم يستطع التفوّه بها.

لقد استنفدا الكلمات، ابتلعاها. والوعود التي لم يقطعاها فعليّاً، غير أنّها ربطت بينهما، أخلفا بها.

فجأة، مدّ بلايز يده، وأمسك بيد لوميكي. فأجفلت لا إرادياً عندما أرسلت لمسته ملايين النبضات الكهربائية من يدها، عبر ذراعها، إلى كلّ خلية من جسدها. تبّاً، لماذا يملك بلايز هذا التأثير عليها؟ أغمضت لوميكي عينيها تلقائيّاً، آملة أن يفعل بلايز ما يفعله عادة، أن يرفع يدها ثمّ يطبع قبلة طويلة على باطن معصمها. ما من شيء يثير جنون لوميكي كهذه الحركة.

بيد أنّ بلايز لم يقبّلها، بل أحسّت بملمس معدني في راحة يدها. شعرت بذلك عندما أغلق بلايز أصابعها حول شيء ما وأفلت يدها. فتحت عينيها، ثمّ رفعت يدها ونظرت إليها، لتجد دبّوساً فضّياً على شكل تنّين.

قال بلايز بصوت خافت: «هذا لك. يجب على كلّ شخص أن يملك تنّيناً خاصّاً به».

ترقرقت عينا لوميكي بالدموع، ولم تقل شيئاً. لم تستطع قول شيء في الواقع، ولا حتّى كلمة شكر.

ما زالت تملك الدبّوس. إلاّ أنّها لم تحتمل يوماً النظر إليه. مع ذلك، ما زالت تذكره بكلّ تفاصيله، تذكر وزنه بيدها، وبرودة حراشفه المعدنية التي راحت تستمدّ الدفء من يدها.

تنّينها.

لكن ماذا يفترض بها أن تفعل بالتنّين، ما دامت النار مفقودة من حياتها.

السبت 18 حزيران

10

لا وجود لمجموعة غير خطرة. هذا هو الاستنتاج الذي توصّل إليه جيري هاسيك بعد أشهر من البحث. فقد أمضى ليال طويلة في قراءة الدراسات، والتقارير، والروايات الشخصية، وقصص الحياة، والرسائل على الإنترنت. وكانت كلّها سوداوية ومثيرة للقلق بشكل أو بآخر، كلّها من دون استثناء. حتّى تلك المجموعات التي لا تدعو لشيء سوى الحبّ، والأزهار، والأرانب البيضاء، والسلام على الأرض، أو تدّعي ذلك، تجد في مكان ما في خباياها أمراً غريباً. طمع، استغلال جنسي، مخدّرات، طقوس خطرة، أو على الأقلّ ممارسات غذائية غريبة، وانعدام للشروط الصحية.

درس جيري علامات خطورة المجموعة، التي تتضمّن التفكير الأبيض والأسود، والبنية الاستبدادية، والانعزال الاجتماعي. وقليلة هي المجموعات التي تبقى متماسكة من دون قائد قوي وكاريزماتي، هذا فضلاً عن آراء صارمة حيال الخير والشرّ، والخطأ والصواب. ويُعتبر التأكيد على أنّ الحقيقة التي تقدّمها تلك المجموعة هي الحقيقة الوحيدة هو الذي يبقي الأتباع فيها ويجعلهم يعتقدون أنّ مستقبلاً أفضل ينتظرهم هم وحدهم، إمّا في حياة أخرى، أو على كوكب آخر. هم المختارون الذين سينالون الخلاص.

باب النعيم هي إحدى المجموعات الرئيسة التي أجرى جيري

أبحاثاً عنها. تمّ تأسيسها في أوائل العقد السابع من القرن المنصرم على يد مارشال أبلوايت، وهي مجموعة أميركية جمعت بين العقيدة المسيحية والاعتقاد بالأجسام الفضائية الغامضة. ينادي أعضاء المجموعة بعضهم البعض «أخ» و«أخت»، ويعيشون معاً في قصر كبير استأجروه في كاليفورنيا وجعلوه مقرّاً لهم. لم يكن يسمح لأعضاء المجموعة بالاتّصال بالغرباء على الإطلاق. وقد عمد أبلوايت إلى خصي نفسه، وحذا حذوه خمسة آخرون من أعضاء المجموعة. ويعتقد أتباعه أنّ مخلوقات فضائية ستأتي من الفضاء الخارجي لتجلب لهم السلام وتقدّم لهم وطناً على كوكب آخر.

ليست هذه هي المشكلة. فالناس أحرار في اعتقاد ما يشاؤون وفعل ما يحلو لهم بأجسادهم. غير أنّ القصّة اتّخذت منحى تراجيدياً عندما أقنع أبلوايت أتباعه أنّ سفينة فضائية تختبئ في ذيل مذنّب هالي بوب، وأنّ أرواح أعضاء المجموعة تستطيع ركوبها. هكذا، وعلى مدى ثلاثة أيّام خلال شهر مارس 1997، وتحت إشراف أبلوايت، عمد حوالى أربعين من أعضاء المجموعة إلى الانتحار.

لسوء الحظّ، لم تكن المجموعة فريدة من نوعها. جونزتاون، فرع الداوووديين، أخوية معبد الشمس... أسماء قد تبدو مسالمة، لا بل جميلة حتّى، لكنّ كلّ قصصها انتهت بالمآسي والموت. ثمّة مجموعات أيضاً لم تكتفِ بقتل أعضائها، بل بحثت عن ضحايا خارجها. ففي عام 1995، قامت مجموعة تدعى آوم شينريكيو بتخطيط وتنفيذ هجوم بالغاز على مترو طوكيو، راح ضحيّته اثنا عشر قتيلاً، كما سقط آلاف الجرحى.

كلّما جمع جيري معلومات عن تلك المجموعات، ازداد نفوره منها. إن استطاع أن يؤدّي دوراً ولو صغيراً في إحباط مخطّطات إحداها، سيشعر أنّ عمله لن يذهب سدى.

نظر إلى الرجل الجالس أمامه وتساءل متى كفّ عن الاعتقاد بمزاعم المجموعة وقرّر أن يكسر حاجز الصمت. بدا له الرجل أشبه بكلب هزيل تعرّض للضرب كلّ يوم من حياته. كان نحيلاً، وبدا كتفاه أضيق ممّا هما عليه بسبب تراخي جسده. راحت نظرات عينيه السوداوين تجوبان الطاولات الأخرى ووجوه زبائن المقهى، بحيث وجد جيري صعوبة في لفت انتباهه لأكثر من بضع ثوانٍ. بدا كأنّه في الخمسين من عمره، مع أنّه لم يتجاوز عقده الرابع على الأرجح. هل مضى وقت اعتقد فيه هذا الرجل حقّاً أنّه مختار؟ لا بدّ من ذلك، وإلاّ لما بقي في المجموعة كلّ هذه السنوات.

لم يكشف الرجل سوى القليل جدّاً عن نفسه. لم يذكر اسمه بالطبع، غير أنّ جيري توقّع ذلك. كانت مديرة جيري قد أخبرته أنّها قد تنجح في إقناع الرجل بإجراء مقابلة تلفزيونية من دون الكشف عن اسمه. ولم تخبره كيف تمكّنت من الاتّصال به، كما أنّ جيري لم يسأل. إذ تعلّم أنّه من الأفضل عدم طرح كثير من الأسئلة. فإن قدّم لك أحدهم مصدراً أساسيّاً للمعلومات من أجل تحقيقك الكبير على طبق من فضّة، لا تبدأ بطرح أسئلة حول ذلك، بل اقتنص الفرصة وحسب. تلك كانت إحدى القواعد الذهبية في حياته.

سأله الرجل للمرّة الألف: «ألن يتمكّن أحد من التعرّف عليّ؟».

كبت جيري تنهيدة غضب، وشرح له بصبر: «تلك هي الفكرة من هذه المقابلة. سيكون ظهرك للكاميرا، حتّى إنّنا نستطيع تمويه شكلك وملابسك بواسطة سترة كبيرة أو أيّ شيء يجعل التعرّف عليك أكثر صعوبة. كذلك سيتمّ تغيير صوتك تماماً».

جلس الرجل إلى طاولة في زاوية المقهى تحت إضاءة خافتة، وراح يضمّ يديه بعصبية كأنّه يصلّي، ثمّ يبعدهما مجدّداً، ويمرّر إبهامه على يده الأخرى ثمّ يعبث بأصابعه. لاحظ جيري كم أنّ بشرة الرجل جافّة. ربّما كان للمجموعة قوانين حول استخدام مستحضرات التجميل، كالكريمات المرطبة.

قال الرجل بنبرة منخفضة: «نحن عشرون، نعيش على مسافة قريبة من المدينة».

سأله جيري: «أين بالضبط؟».

هزّ الرجل رأسه بعنف مجيباً: «لا يمكنني إخبارك».

فكّر جيري، ربّما ليس بعد، لكنّه ينوي جعل هذا الرجل يثق به تماماً بحيث يكشف له بكامل إرادته عن موقع المنزل. حالياً، من الأفضل ألاّ يضغط عليه. هكذا انتقل إلى حديث آخر.

«منذ متى وأنت معهم؟».

«منذ البداية، منذ عشرين عاماً تقريباً. كنّا قلّة، لكن مع السنوات، عثرنا على أعضاء آخرين في العائلة».

«وكيف تعيلون أنفسكم؟ هل تعملون؟».

«بعضنا يعمل. فنحن نتقاسم كلّ ما نملكه ونستخدمه لصالح العائلة. لا أحد يحصل على حصّة أكبر من الآخر. هكذا، عندما ننضمّ إلى العائلة، نقدّم لها كلّ ما نملك».

سأله جيري، محاولاً ترطيب الأجواء: «إذاً أنتم تشبهون النظام الشيوعي إلى حدّ ما».

وجّه إليه الرجل نظرة طويلة وقاسية قضت بوضوح على أيّ محاولة للمزاح.

«حياتنا شديدة التقشّف. فنحن لا نحتاج إلى الكثير، ذلك أنّ الأمور الدنيوية كلّها زائلة في النهاية».

كانت نبرة صوته تحمل مزيجاً من الكآبة والفخر، كأنّه يعرف أنّه أمضى أجمل سنوات عمره في ظلّ ظروف غير إنسانية، لكنّه يشعر مع ذلك أنّه كان يقوم بالشيء الصحيح.

لم يشأ جيري الضغط على الرجل، لكنّه أراد معلومات ملموسة أكثر. فهو لم يسمع حتّى الآن أيّ شيء يثير الريبة، أو يشير إلى أنّه يملك بين يديه خيوط قصّة ستزلزل الرأي العام. فالناس يملكون كلّ الحقّ في العيش في مجموعات، وتمضية كلّ وقتهم في الصلاة. هذه ليس خبطة صحفية. وخبر مثل: «اسمعوا، لدينا مجموعة من غريبي الأطوار يعيشون بيننا» ليس أساساً لقصّة حقيقية، لا سيّما إن كان الناس يحبّون كلّ ما هو غريب. كلّ ما سيحصل عليه من ذلك هو خبر يثير الاهتمام الإنساني، لكنّه لن يشكّل قصّة كبيرة.

أخيراً سأله جيري: «هل لديكم أطفال هناك أيضاً؟ وما هو نوع العقاب الذي تستخدمونه إن خرج أعضاء المجموعة عن الطاعة؟».

أجاب الرجل بسرعة: «نحن لا نستخدم كلمة مجموعة، نحن عائلة».

«فليكن، الاسم ليس مهمّاً».

«بل هو مهمّ، لأنّنا عائلة حقّاً، العائلة البيضاء».

دوّن جيري تلك العبارة. قد يكون للاسم أهمّية، لكنّ الأهمّ الآن هو أنّه بتدوين شيء ما، يُظهر الرجل أنّه يعطي قيمة لأقواله. فالأمر كلّه يقوم على بالثقة.

سأله جيري: «هل لعائلتكم أعداء؟ وأنا لا أعني فقط الأعداء الروحيين، بل أعداء ملموسين على الأرض».

لا بدّ من وجود سبب ليُطلب منه التحقيق حول هذه المجموعة. ربّما استطاع أن يكشف خلفها سرّاً غامضاً.

نظر الرجل حوله، ثمّ انحنى وخفض صوته مجيباً: «في الواقع، لدينا هنا على الأرض...».

في تلك اللحظة، مرّ أحدهم بجانب الطاولة، فقفز الرجل كما لو أنّ بالوناً انفجر بجانب أذنه. نظر جيري إلى الشخص المارّ، ليجد أنّه مجرّد فتاة ذاهبة إلى الحمّام. كانت ذات شعر بنّي قصير، ترتدي قميصاً قطنياً. لم تكن الفتاة لتلفت نظره في الظروف العادية. ويبدو عليها أيضاً أنّها سائحة، ما يعني أنّها لن تفهم على الأرجح كلمة واحدة من حديثهما حتّى لو سمعت شيئاً.

مع ذلك، تحطّم جوّ الثقة الذي عمل جاهداً على بنائه. فقد امتلأت عينا الرجل بالخوف بحيث لم يشعر جيري أنّه سيتمكّن من تبديده مجدّداً. أدرك أنّ الرجل لن يقول المزيد اليوم، فهو يعرف بوادر الذعر التي تدفع هؤلاء الأشخاص إلى التقوقع مجدّداً.

سأله جيري: «هل يمكننا الاتّفاق الآن أنّك ستأتي لإجراء المقابلة التلفزيونية غداً؟».

لم يجبه الرجل فوراً، بل بدا عليه التردّد.

تبّاً. حاول جيري أن يخفي نفاذ صبره. فلو مارس ضغطاً أكبر، قد يخسر كلّ شيء. سيخاف الرجل ولن يعود أبداً، وسيخسر جيري فرصته.

«عند الساعة الثانية عشرة في نفس المكان. سنذهب من هنا إلى الإستديو، وهناك لن يرى أحد التصوير سواي».

حافظ جيري على نبرة عادية، وحاول أن يبدو مطمئناً. لم يكن يطلب منه أو يقترح عليه شيئاً، بل يخبره بما سيحدث وحسب. لاحظ أنّ كلامه وصوته هدّءا من روع الرجل الذي هزّ رأسه موافقاً. صحيح أنّه هزّه ببطء، لكنّه فعل. فمدّ جيري يده، ونظر إليها الرجل مطوّلاً قبل أن يصافحه. كبت جيري نفوره من لمسة يد الرجل الجافّة والخشنة، لكنّهما تصافحا تأكيداً على اتّفاقهما.

ذهب الرجل أوّلاً كما اتّفقا. أمّا جيري، فانتظر خمس دقائق قبل أن يتبعه. عندما خرج إلى أشعّة الشمس الساطعة والحارّة، شعر كأنّه كان في عالم آخر. وودّ لو يرقص طرباً هنا في الشارع، محاطاً بكلّ أولئك الناس الفرحين بملابسهم الصيفية. لقد فاز بالمقابلة، وكان واثقاً أنّ هذا الرجل يملك قصّة حقيقية.

مسحت المرأة العرق عن حاجبها بمنديل ورقي. فالحرّ الشديد يسود منذ أيّام، وكانت عناوين نشرات الطقس قد توقّعت موجة حرّ وجفاف تاريخية، مع أنّ الطقس لم يكن خارجاً عن المألوف في الواقع. عادة، يزعجها الصمت، لكن ليس اليوم. فالصمت الطويل يجعل الصرخة التي تمزّقه مدوّية أكثر.

نظرت المرأة إلى السماء الصافية. كانت قد تلقّت للتوّ اتّصالاً

هاتفياً يطلب تأكيد تعليماتها. فأكّدت للمتّصل أنّه فهم التعليمات بشكل صحيح. فقد أصبحوا يملكون ما فيه الكفاية من المعلومات الآن، ولم يعد للمصدر أيّ ضرورة.

قصّة البطل تتطلّب الخطر والموت.

نظرت المرأة إلى علبة الشطرنج المنمّقة التي تحتفظ بها على طاولتها، مع أنّها ليس مولعة باللعبة في الواقع. مرّرت إصبعها على رأس أحد البيادق، ثمّ أسقطته بدفعة صغيرة. غالباً ما يستدعي الحفاظ على الاتّجاه الصحيح للعبة التضحية ببعض البيادق.

داعبت أشعّة الشمس سطح فلتافا، فراح النهر يتألّق ويلمع. كان يوماً جميلاً ومناسباً للموت.

مشى رجل محدّب بسرعة في الشارع، وهو يسترق النظر من خلف كتفه على نحو منهجي بحيث بدا أنّه ما من أحد أو شيء يمكن أن يتجسّس عليه. كان يعبر شارعاً جانبياً صغيراً، عندما ظهرت سيّارة رمادية مسرعة عند المنعطف من العدم. استطاع رؤية السيّارة، لكنّه لم يجد الوقت للابتعاد من طريقها.

تسارعت الأفكار والأحاسيس في رأسه مرّة واحدة. شعر أنّه من الظلم أن يحدث ذلك الآن، في اللحظة التي وجد فيها أخيراً الشجاعة للكلام. وأحسّ بالأسف على كلّ من سيحزن عليه.

بعد ذلك، قدّم الشهود روايات متضاربة. منهم من قال إنّ السيّارة ضغطت على الفرامل، ومنهم من قال العكس. على أيّ حال، اصطدمت مقدّمة السيّارة بأضلاعه بعنف، بحيث طار عدّة ياردات في الهواء قبل أن يرتطم بالرصيف. اصطدمت جمجمته

بـالأرض الصلبـة، وخـلال لحظات، بدأت بركة مـن الدماء تتكوّن تحت رأسـه. وأوّل سـامرّائي صالح تمكّن من الوصول إليه عرف أنّه مات على الفور.

هربت السيّارة الرمادية من مسرح الحادث قبل أن يتمكّن أحد من أخذ رقمها، فيما قال أحدهم إنّ السـيّارة لا تملك رقماً حتّى. كما أنّ أحداً لا يذكر شكل السائق أو ما إذا كان رجلاً أم امرأة.

11

اقتربت لينكا من النافذة ووقفت تتأمّل المشهد نفسه الذي ألفته خلال السنوات الخمس الماضية. أشجار الزيزفون التي يتغيّر لون أوراقها قبل أن تتساقط مع هبوب رياح الخريف، مخلّفة أغصاناً عارية تتجمّد بفعل ثلوج الشتاء، قبل أن يأتي الربيع وتنبت البراعم مجدّداً، ثمّ تنمو أوراقاً خضراء نضرة. كانت الأشجار الآن أقلّ كثافة من ذي قبل. فقد قام جارو يوم أمس بتشذيبها بواسطة منشار. فبدت لها الأشجار أكثر كآبة من العادة، وكومة الأغصان تحتها أشبه بقبر. نظرت لينكا إلى السياج الحديدي المحيط بالفناء، والذي بدا أشبه بكابوس شائك ومخيف. مرّرت يدها على إطار النافذة بشرود، وأحسّت بملمس الطلاء المشقّق والمتقشّر. كانت أطر النوافذ بحاجة إلى تنظيف. إذ أنّ شمس الصيف الساطعة أظهرت الغبار وآثار الأصابع بوضوح. لكن لا جدوى من تنظيفها، ليس بعد اليوم.

فجأة، شعرت أنّ الغرفة صغيرة جدّاً، وبدا لها المشهد الخارجي ضيّقاً، بحيث تمنّت لو أنّها تستطيع أن ترى أبعد من ذلك. شعرت أنّ رائحة الرطوبة المألوفة للمنزل، والممتزجة برائحة البخور الحلوة أصبحت خانقة، مع أنّها كانت تحبّها، وتشعرها عادة بالأمان.

لـم تفهـم لينـكا مـا الـذي حـدث. خـلال السـنوات الخمس الماضية، كانت أكثر سعادة ممّا تخيّلت. فمع أنّها شعرت بالحزن علـى والدتهـا، وبوحـدة فظيعـة أحيانـاً، إلاّ أنّها كانـت مرتاحة مع ذلك. فهي لم ترغب في شـيء آخر. لقد حصلت على الكثير في حياتهـا. حصلـت على أشـخاص اهتمّوا لأمرهـا وقدّموا لها منزلاً. كما امتلكت إيماناً أعظم وأقوى منها، وكانت تعرف الجزاء الذي ينتظرها.

كانت السـنوات الخمسـة عشـر الأولى من حياة لينكا أشـبه بحلم استيقظت منه فجأة. صحيح أنّ استيقاظها كان قاسياً ومؤلماً، لكنّه كان ضرورياً. ففي الماضي، كانت تتخيّل أنّ الحياة هي فقط مثلما تبدو عليه. حياة بسـيطة تقتصر على الذهاب إلى المدرسـة، ومشاهدة التلفاز مع أمّها ليلاً، حياة تحلم فيها بالأصدقاء، والوقوع في الحبّ، والسفر إلى نيويورك، والعمل كمصوّرة أو معلّمة. كانت حياتهـا سـطحية تعتمـد على أمـور مادّية ودنيوية. ولطالما شـغلتها مسـألة جمالها، وحدّقت إلى المرآة لسـاعات متواصلة متوقّفة عند كلّ عيب، واستخدمت مساحيق التجميل في محاولة لتبدو مرغوبة أكثـر، مـع أنّهـا كانـت شـديدة الخجـل والصمـت في المناسـبات الاجتماعية بحيث ما كان من الممكن لأحد أن يلاحظ ما إذا كانت رموشها طويلة ومقوّسة.

مكتبة

لطالمـا عانـت لينـكا مـن انعـدام الأمان. فقد كانت تسـير في نومهـا، حقّـاً. ولـم تتمكّن مـن رؤية النور الإلهي الذي يشـعّ على العالـم، إلاّ بعدمـا سـاعدتها العائلـة البيضاء علـى رؤية مدى صغر وتفاهـة كلّ الأشـياء الدنيويـة المحيطة بها مقارنـة بالحقيقة، حقيقة

كونها بلا قيمة من دون الإيمان، ومن دون الإله الواحد الحقيقي. كانت حياة لينكا، شأنها شأن حياة كلّ من على هذه الأرض، مجرّد صعود سلالم. والباب المؤدّي إلى البيت الحقيقي لن يُفتح إلاّ لاحقاً. فلماذا تحزن إن كانت السلالم وضيعة، أو شاقّة أحياناً، ما دامت في نهاية المطاف لا تعني شيئاً مقارنة بالحياة الأبدية؟

غير أنّ لينكا وجدت نفسها تفكّر الآن بكلّ ما قالته لوميكي عن حياتها في فنلندا. فكّرت بالشفق القطبي وبلياٍل بلا ليل. فكّرت بالسباحة في ثقب في الجليد، وبدت كلّ هذه الأشياء ساحرة وجميلة، كأنّها خارجة من قصّة خيالية. مضت خمس سنوات لم تحلم فيها لينكا بالسفر أبداً. لكن الآن، ومثل لصّ في الليل، راودتها أفكار الصعود إلى طائرة مع لوميكي، والطيران إلى فنلندا، وزيارة الينابيع الحارّة، والسباحة في بركة صافية، واشتمام عطر أشجار البتولا التي أبدعت لوميكي في وصفها. لقد أيقظت فيها لوميكي رغبة في استخدام كلّ حواسها إلى الحدّ الأقصى ولو لمرّة في حياتها.

يا لها من أفكار غبية وبلا جدوى.

جال نظر لينكا في الغرفة بأسرّتها المحاذية للجدران. كان ثلاثة أشخاص ينامون هنا. وكانت الأرض عالية، وكذلك الجدران التي خلت من أيّ لوحات. لا مكتب، ولا مصباح، ولا كراسٍ. لا شيء زائد، لا شيء يدفع بأفكار المرء في الطريق الخاطئ. فهم لا يحتاجون إلى ما يلهيهم. وفي الأمسيات، يشغلون أنفسهم بالصلاة. فعندما لا يكونون مرتبطين كثيراً بالدنيا، يستطيعون التقرّب أكثر من الربّ.

ضمّت لينكا يديها. كانت هذه الأفكار خاطئة. فقد بدأت ترغب في شيء لا ينبغي أن ترغب فيه، وعليها طلب المغفرة. عليها أن تصلّي طلباً للقوّة.

لم تستطع لينكا سوى أن تلاحظ أنّ الساعة تجاوزت تقريباً الثالثة والنصف، وإن أرادت ملاقاة لوميكي عند الخامسة في حديقة القلعة، عليها أن تنطلق قريباً. لا يجدر بها الذهاب. فبالمبدأ، كانت تحت الإقامة الجبرية لأنّها خرقت القوانين وأحضرت لوميكي إلى بيت العائلة من دون إذن مسبق. فقد أخبروا لينكا أنّه من غير المسموح دخول أحد بسهولة. إذ يتعيّن على العائلة أن تقرّر أوّلاً ما إذا كانت لوميكي من الأشخاص الموثوقين. وحتّى لو كانت شقيقة لينكا، هذا ليس كافياً.

سألتهم لينكا ما إذا كانوا يشكّون بروايتها، لكنّهم أجابوا إنّ المسألة ليست كذلك، بل على أفراد العائلة حماية بعضهم البعض والحفاظ على المجموعة التي يعيشون في ظلّها. ولا يمكن لأحد خرق هذا القانون. دلّكت لينكا ببنصرها الأيمن بنصرها الأيسر الذي وضعت فيه لسنوات الخاتم الذي أهدتها إيّاه أمّها في ذكرى ميلادها الخامسة عشرة. توفّيت أمّها بعد بضعة أسابيع من ذلك. فكانت تلمس الخاتم كلّما احتاجت إلى القوّة أو المواساة.

لكن في الأسبوع الماضي، خلعت لينكا الخاتم. ذلك أنّ آدم قال لها بطريقة مباشرة أكثر من أيّ وقت مضى أنّ أمّها تخلّت عن إيمانها وعن العائلة، والاحتفاظ بالخاتم هو أقرب إلى الخيانة. فقامت لينكا بإلقاء الخاتم في النهر. وهكذا غرق، شأنه شأن أمّها.

الآن عليها أن تبحث عن القوّة والمواساة في مكان آخر، في

إيمانها.

توقّفت لينكا عن الصلاة عندما تناهت إليها صرخة حزينة ومدوّية من الأسفل.

«مات جارو!».

سقطت يدا لينكا المضمومتان، واجتاحها إحساس بالذنب وهي تنزل السلّم مسرعة. ماذا لو أنّ الله رأى أحلامها الدنيوية الخاطئة، وعاقبها بأن أظهر لها مدى سهولة مجيء الموت؟

جلست لوميكي في حديقة القلعة، تتأمّل النافورة التي راحت ترسل قطرات من المياه تتلألأ كالجواهر. تراقصت القطرات للحظة في الهواء، قبل أن تسقط فوق صفحة الماء. تساءلت لوميكي كيف كانت ستبدو النافورة لو أنّ القطرات ارتفعت فجأة في السماء مثل بالونات صغيرة لامعة، ثمّ طارت بعيداً. وراحت تتخيّلها وهي تطير إلى فنلندا ثمّ تُمطر رذاذاً دافئاً وخفيفاً على وجه بلايز.

بلايز. ها هي تفكّر فيه مجدّداً. أهي المسافة؟ أم أنّه من الأسهل أن تسمح لنفسها بالاشتياق إليه عندما تكون في بلد آخر؟ هل يجعل ذلك من الشوق أمراً مسموحاً؟

في الواقع، ما كان ينبغي أن يحتلّ شيء أفكار لوميكي سوى تلك الفتاة الغريبة لينكا، وأسرتها الأكثر غرابة، وما إذا كان ثمّة رابط دم يجمعهما. هل أنجب والد لوميكي طفلة في براغ سرّاً؟

إلاّ أنّ شوقها لبلايز لا يمتثل للمنطق التقليدي، بل يتبع منطقه الخاصّ، ولم يكن بيد لوميكي حيلة.

تأمّلت لوميكي المدينة الممتدّة في الأسفل، وباغتها إحساس

قوي بالغربة. فهي لا تنتمي إلى هذا المكان، بل كانت مجرّد زائرة، مجرّد سائحة سترحل قبل أن تبدو لها المدينة مألوفة فعلاً. لن تشعر أبداً بالألفة هنا.

لكن إلى أين تنتمي لوميكي حقّاً؟

موطنها ليس ريهيماكي، حيث تعيش أمّها وأباها، ولا شقّتها في تامبيري كذلك، ليس بعد على الأقلّ. ما من شيء يربطها بقوّة بأيّ مكان بحيث تشعر أنّه بيتها حقّاً.

داعب شعرها هواء دافئ، ذكّرها كيف داعبت يده شعرها بحيث رغبت ألاّ يتوقّف أبداً. بين ذراعي بلايز، أحسّت بالانتماء. أمام دفء نظراته، شعرت بالأمان، والحياة، والكمال. استطاعت أن تكون هي نفسها، من دون تمثيل، أو إخفاء، أو تغيير أيّ جزء منها. كانت سعيدة وأحسّت أنّها كانت محبوبة.

حمل الهواء عطر الأزهار، والأشجار، والصيف، وكان ساحراً بحيث دفع لوميكي إلى الجلوس. بدأ إحساس الغربة وعدم الانتماء يلفّ حباله حولها. بدأ بقدميها، وقيّدهما، قبل أن يرتفع إلى ردفيها وخصرها، ويثبّت ذراعيها إلى جانبيها، ثمّ يلتفّ حول عنقها، ويكمّم فمها.

ماذا لو لم تشعر أبداً بالانتماء من دون بلايز؟

ماذا لو لم تستطع أن تحبّ شخصاً آخر يوماً؟

ماذا لو أنّها خسرت الشخص الوحيد الذي يمكن أن تكون سعيدة حقّاً معه؟

في صباح أحد أيّام يوليو الباكر، بقيا مستيقظَين طوال الليل يتحدّثان، ولم يشعر أيّ منهما بالتعب. أشرقت الشمس، وتسلّلت

أشعّتها إلى غرفة النوم، لطيفة وحانية، ولطّفتها أكثر أغصان شجرة البتولا من خارج النافذة. تمدّدا على السرير الضيّق وجهاً لوجه، ونظر بلايز إلى لوميكي عن كثب، كما يفعل عادة. لم تكن نظرته انتقادية، بل دافئة ومليئة بالحبّ.

قال بلايز: «سأطرح عليك سؤالاً، وأريد أن تجيبينني بصدق».

«حسناً».

«كم مرّة تفكّرين بمدى جمالك؟».

فكّرت لوميكي قبل أن تجيب: «بصراحة؟ إطلاقاً».

وكان ذلك صحيحاً. فقد قيل لها مراراً إنّها قبيحة إلى أن صدّقت ذلك. في ذلك الوقت، اعتقدت أنّ ذلك هو سبب ما حدث، أنّها كانت قبيحة إلى حدّ أنّ معذّبيها لم يجدوا مفرّاً من البصق في وجهها وضربها طوال الوقت. كان مظهرها مقزّزاً لهم بحيث لم يستطيعوا مقاومة ذلك. لاحقاً، أدركت لوميكي بالطبع خطأ ذلك.

في ما بعد، أصبحت تعتقد أنّها ليست قبيحة، بل عادية، ولم يكن لمظهرها أيّ أهمّية بالنسبة إليها. لم تكترث ما إذا كان الناس يجدونها جميلة أم لا، إلى أن التقت ببلايز.

قال بلايز: «كنت أخشى ذلك، لذا سأخبرك الآن ما هي الأشياء الجميلة فيك».

قال ذلك بجدّية أضحكت لوميكي.

نظر إليها بلايز، ثمّ مرّر يده على خطّ شعرها.

«جبينك. كلّما نظرت إلى جبينك، أستطيع أن أرى تقريباً الأفكار اللامعة التي تمرّ خلفه».

ثمّ مرّر إصبعه على حاجبيها.

«وحاجباك وعيناك معاً. فأنت تملكين عينين رائعتين، ونظرتك حادّة جدّاً بحيث لم أستطع أن أتكلّم تقريباً أوّل مرّة رأيتك فيها».

أخذ قلب لوميكي ينبض بقوّة، وامتلأت عيناها بالدموع. فكلمات بلايز لم تكن أقلّ رقّة من لمسته، لأنّها وجدت بداخلها مساحات تحتاج إلى الحنان والمداعبة.

لمس خدّها برقّة كالريشة.

«خطّ فكّك جميل وقويّ».

مرّر إصبعه على شفتيها. فاختفت الكلمات، وتابعت اللمسات الحكاية.

كانت لديهما لعبة أخرى تدعى خارطة الكنز.

في هذه اللعبة، يقوم الشخص المكلّف برسم الخارطة بكتابة كلمات على ورقة أو رسم صورة تحمل معنى هامّاً في حياته. ومن الكلمات والصور، تظهر كلمات أو صور أخرى. فيختار الشخص الذي يتبع الخارطة الطرقات التي يودّ اتّباعها. ويشرح من يرسم الخارطة كيف ترتبط الكلمات أو الصور ببعضها وما هي القصّة خلفها.

بهذه الطريقة، كانت لوميكي وبلايز يكشفان تاريخ كلّ منهما للآخر، تدريجيّاً. مخاوفهما، وآمالهما، وأحلامهما. يتحدّثان عن الأسرار التي لم يخبرا بها أحداً آخر، والأمنيات التي لم يعبّرا عنها يوماً بكلمات.

كانت خارطة الكنز تفتح صناديق لطالما كانت مقفلة. فيعطيان

بعضهما المفاتيح قائلَين، هيّا افتح، أنا أثق بك تماماً.

لـم تكـن خارطـة الكنـز غاية بحدّ ذاتها بـل لعبة لطيفة يمكن لأيّ مـن اللاعبَيـن إنهاءهـا فـي أيّ وقت. يمكنهما وضع الرسـوم والكلمات جانباً، والتركيز على الحالة الجديدة التي أدّت إليها حالة سابقة بشكل طبيعي وبلا ضغوط.

مضى وقت كانت فيه علاقة لوميكي ببلايز صحيحة، وجيّدة، وطبيعيـة. وغالبـاً مـا كانـت لوميكـي تحلـم بذلـك الوقـت، وكان الاستيقاظ من الحلم عنيفاً وخاطئاً دائماً.

لماذا تستيقظ ما دام الحلم أفضل وأكثر واقعية؟

لقد كذبَت. روت قصصاً كان يمكن أن تكون حقيقية، غير أنّها لم تكن كذلك. ألّفت قصّتها بعناية، ولن يكشفها أحد.

هل الكذب خاطئ إلى هذا الحدّ؟ حتّى لو كانت الكذبة أكثر جمالاً من الحقيقة؟ حتّى لو منحت الكذبة راويها وسامعها أكثر من الحقيقة؟

أصبحت الكذبة قصّة، وأصبحت القصّة حقيقة.

ولم تندم على ذلك.

أرادت مشاهدة هذه القصّة حتّى النهاية، حتّى آخر صفحة. وستجازف بإمكانية مواجهة نهاية قاسية، نهايتها.

12

نظـرت لوميكي إلى السـاعة علـى هاتفها. كانت قد تجاوزت الخامسة، ولا أثر للينكا بعد. في الواقع، قد لا تأتي أبداً. أحسّت لوميكـي بـوزن الهاتف في يدها كأنّه يشـجّعها على الاتّصال بأبيها وسـؤاله مباشـرة. كانت لوميكي تفكّر في ذلك، سيشـكّل سـؤالها هجوماً مفاجئاً. أوّلاً، ستتحدّث معه عن الطقس وما إلى ذلك، ثمّ تقتنص الفرصة، وتهاجمه من الخلف بسؤاله ما إذا كان يملك حقّاً ابنة في براغ. سـتعرف فوراً من صوته ما إذا كان يكذب، أو على الأقلّ تظنّ ذلك. فربّما كان والدها أكثر براعة في الكذب ممّا تظنّ.

إن كانـت لينـكا ابنتـه حقّـاً، ومـا قالته صحيح، هـذا يعني أنّ لوميكي تعرف عن أبيها أقلّ بكثير ممّا كانت تظنّ. لكن هل يعرف الأبناء آباءهم حقّاً؟ هل يعرفون ما يجول في خاطرهم وما يخبّئون في أعماقهم؟ عادة، لا يرى الأبناء سوى جزء، سوى مساحة صغيرة. ولا يعرفـون كيـف كان آباءهـم فـي طفولتهم ولا مـا حلموا به في صباهـم. وحتّـى لـو تحدّث الآباء عن هذه الأمـور، تبقى القصص ملوّنة بحقيقة بسيطة هي أنّ الآباء يروونها لأطفالهم.

من جهة أخرى، لم يسبق لعائلة لوميكي أن تحدّثت أبداً في أمور كهذه، فهذا ليس من طبعها. لا بل في بعض الأحيان، تشعر لوميكي أنّها أمضت السـنوات السـتّة عشـر الأولى من حياتها مع

غرباء أو معارف في أفضل الأحوال.

أصبحت الساعة الخامسة وخمس دقائق. نهضت لوميكي عن المقعد الخشبي الأبيض لتحرّك ساقيها قليلاً. كانت قد مشت كثيراً اليوم. فهي تحبّ السير لأنّه يتيح لها أخذ فكرة أفضل عن المدينة ممّا لو كانت في الترام، أو الباص، أو المترو. تساءلت ما إذا كان يجدر بها الرحيل، فمعدتها بدأت تتذمّر.

راحت تقلّب الهاتف في يدها. ربّما حان الوقت لتكسر جدار الصمت. هكذا بحثت عن رقم أبيها، ثمّ ضغطت على زرّ الاتّصال قبل أن تبدّل رأيها.

أجاب أحدهم على الفور تقريباً، لكنّه لم يكن أباها، بل أمّها.

قالت: «لقد خرج بيتر ليمشي وترك هاتفه. هل تريدين التكلّم معه لأمر طارئ؟ سأطلب منه الاتّصال بك حال عودته».

أحسّت لوميكي بصداع في اللحظة التي سمعت فيها صوت أمّها القلق.

أجابتها بسرعة: «كلاّ، لقد... لقد نسيت وحسب متى أتى أبي إلى براغ».

صمتت أمّها لبضع ثوانٍ. بالطبع، ستدّعي أنّه لم يزر براغ أبداً. فهذا هو الجواب المنطقي الوحيد، لأنّ أباها لم يذكر أبداً أنّه زار المدينة، ولا حتّى عندما كانت لوميكي تخطّط لزيارتها.

«هل تحدّثتما عن ذلك؟ ظننت أنّ بيتر... ظننت أنّه لا يرغب في تذكّر تلك الفترة. فقد مضت سنوات طويلة. كانت... أيّاماً صعبة».

تغيّر صوت أمّها، وبدا غريباً. في الحقيقة، لم يسبق أبداً أن

سمعت لوميكي هذه النبرة. بدت حزينة، لكنّها صادقة ومنفتحة، كأنّها نسيت للحظة مع من تتحدّث، وأرادت قول المزيد. كانت أمّها أقلّ حصانة من المعتاد. هذا يعني أنّ لوميكي أصابت الهدف.

سألتها كمن يشنّ هجوماً آخر على الفور: «هل حدث شيء هناك؟».

لن تتراجع الآن بعد أن فُتح باب الماضي قليلاً.

«كلاّ، ليس هذا...».

في تلك اللحظة، سمعت لوميكي وقع خطوات على الطريق المرصوف بالحصى. إنّها لينكا. كانت تركض مسرعة، وهي تلهث، وبدا الاستياء واضحاً في عينيها الحمراوين.

قالت لوميكي بسرعة قبل أن تقفل الخطّ: «عليّ الذهاب، فلنتحدّث لاحقاً».

لم يكن التوقيت مناسباً. فها هي أمام سرّ يُكشف من اتّجاهين، لكنّ المصدرين يصطدمان ويعيقان بعضهما.

قالت لينكا: «لقد مات جارو».

«جارو؟».

«أحد أفراد عائلتنا. صدمته سيّارة ومات على الفور. إنّه الرجل الذي رأيتِه أمس عند النافذة».

بدأت عينا لينكا تترقرقان بالدموع، فناولتها لوميكي منديلاً مغضّناً من جيبها، وأخذته لينكا بحركة مطيعة وطبيعية، تماماً مثل طفل يأخذ منديلاً من أمّه.

تذكّرت لوميكي الرجل، وكتفيه الضيّقين، ونظرة عينيه السوداوين الكئيبة والثاقبة. ومع اتّضاح صورته في ذهنها، تذكّرت

أين رأته اليوم أيضاً؛ في مقهى، يتكلّم مع شـابّ يدوّن ملاحظات على دفتر صغير. كانت لوميكي قد مرّت بطاولتهما في طريقها إلى الحمّـام. ولاحظـت أنّ أحدهـم يجري مقابلـة، لكنّها لم تربط بين وجه الرجل المسنّ وذاك الذي رأته عند النافذة سوى الآن.

مقابلة وحادث قاتل في يوم واحد. لا يمكن أن تكون مصادفة.

13

الطول حوالى خمسة أقدام وعشر إنشات. الشعر بنّي داكن، أسود تقريباً. العينان بنّيتان. الجينز فاتح وبالٍ بعض الشيء، يبدو من مظهره أنّه غالي الثمن وأنّه كان بهذه الحالة منذ اللحظة التي تمّ شراؤه فيها. القميص ذات لون فاتح، مزركشة ربّما بالمربّعات، وربّما لا. لم تكن لوميكي واثقة. أمّا السنّ فيتراوح بين الثانية والعشرين والثلاثين. فمن الصعب تحديده مع الرجال الذين يتمتّعون بمزيج من الصبيانية والرجولة.

راحت لوميكي تأكل باغيت الجبن وهي جالسة على ضفّة النهر محاولة أن تتذكّر. كانت تعرف أنّ هذا لن يكون كافياً. وحتّى لو تذكّرت المزيد، لن تتمكّن من إيجاد الرجل الذي كان يجري مقابلة مع جارو في مدينة كبيرة كهذه.

لماذا تحاول أن تتذكّر أساساً؟ شخص غريب عنها تماماً صدمته سيّارة، ولا ينبغي لحادث كهذا أن يؤثّر عليها بأيّ شكل من الأشكال. غير أنّه فعل. فلو أنّ وفاة جارو ليست نتيجة حادث عرضي، من المحتمل أن تكون لينكا في خطر هي الأخرى. وقد تكون لينكا أختها.

لم تقل لوميكي شيئاً للينكا عن المقابلة التي رأت جارو يجريها. من الأفضل ألاّ تعرف، ليس الآن على الأقلّ. فما من

سبب لإثارة ذعر لينكا أكثر ممّا هي عليه الآن، ذلك أنّ الذعر واضح في عينيها. تحدّثتا لأقلّ من نصف ساعة قبل أن تخبرها لينكا أنّ عليها العودة. وضاع معظم ذلك الوقت في محاولة التهدئة من روعها، لأنّها كانت تنتحب وهي تكرّر كلاماً غير منطقي عن أنّ جارو لم يكن يفترض أن يموت، لكن لا أهمّية لذلك حقّاً، وكلّ شيء ما زال يسير في الاتّجاه الخاطئ. ولم تتمكّن لوميكي من فهم المزيد.

اعتذرت لينكا أيضاً لأنّها لم تعرف ماذا يفترض بها أن تفعل لجعل عائلتها تستقبل لوميكي. غير أنّ هذا الأمر سيحدث، وهي واثقة من ذلك. فقد استعجلت لينكا الأمور في محاولة إدخالها إلى المنزل الآن، مع أنّه ينبغي أن تكون قد تعلّمت الصبر. فلكلّ شيء أوان. وعندما يحين الوقت، ستستقبل العائلة لوميكي بأذرع مفتوحة. غير أنّ لوميكي لم تخبرها كم تبدو لها تلك الفكرة مخيفة.

انقطع الحديث مجدّداً عندما اضطرت لينكا إلى الرحيل. يبدو أنّه لم يكن يفترض بها الخروج، لكنّها أرادت رؤية لوميكي، ولذلك أتت.

عندما سألتها لوميكي ما إذا كانت تملك هاتفاً، لأنّ ذلك سيسهّل عليهما البقاء على تواصل، أجابتها: «بالطبع لا، فهو مجرّد كماليات».

اتّفقتا على اللقاء في اليوم التالي عند تلّة بيترين. وحين سألتها لوميكي لماذا تغيّران أماكن اللقاء باستمرار، أجابتها أنّه من غير المستحسن الارتباط بمكان واحد. فلم تطرح لوميكي مزيداً من الأسئلة، ذلك أنّها أصبحت تعرف غرابة سلوك لينكا. وهي واثقة

أنّ لهذا السلوك الغريب تفسير، وستعرفه يوماً.

بدأ المساء يحلّ، لكنّ الحرارة بقيت مرتفعة، بحيث استطاعت لوميكي أن تشتمّ رائحة عرق طفيفة تنبعث من قميصها. الليلة، عليها أن تغسلها على الأقلّ في حمّام غرفتها الصغير في الفندق وتتركها لتجفّ خلال الليل. كانت قد انطلقت في هذه الرحلة بأقلّ قدر من الأمتعة، وقد بدأت تشعر بعواقب ذلك مع نفاد ملابسها النظيفة. كما أنّ فكرة التسوّق مع آلاف السيّاح الآخرين في براغ لم تكن مغرية بالنسبة إليها. أضف إلى أنّ هذه الرحلة بدأت تتحوّل إلى شيء مختلف تماماً عن مجرّد عطلة عادية للاسترخاء.

أخذت لوميكي تزن خياراتها. لا يمكنها الذهاب إلى شرطة براغ، لأنّها لا تدري ماذا ستقول. ثمّة رجل صدمته سيّارة ولقي حتفه، وكنت قد رأيته في وقت سابق من ذاك اليوم يتحدّث ربّما مع مراسل صحفي. كلاّ، لا أعرف شيئاً عنه باستثناء أنّ اسمه جارو ويعيش في منزل خشبي كبير. والناس الذين يعيشون في ذلك المنزل غريبو الأطوار بعض الشيء، لكنّني لا أدري لماذا يعيشون كلّهم معاً. ثمّة فتاة تعيش معهم قد تكون أختي، أو في الواقع أختي من أبي، وقد لا تكون. لا شكّ أنّهم سيسخرون منها وسيطردونها، أو سيزجّون بها في زنزانة إلى أن تستعيد رشدها، أو يتركونها تهيم في الشوارع شأنها شأن غيرها من المجانين الذين لا يشكّلون خطراً على الغير.

كان باستطاعتها الاتّصال بالمنزل وبذل ما في وسعها لتشرح الوضع لأبيها وأمّها وتطلب نصيحتهما. فأيّ شخص طبيعي سيفعل ذلك على الأرجح. غير أنّ لوميكي لم تكن طبيعية، لا هي ولا

أسرتها. فهم لا يعالجون أمورهم على هذا النحو. كما أنّها واثقة أنّ أمّها استجمعت أفكارها بعد مكالمتهما الهاتفية الأخيرة وأدركت أنّها باحت بالكثير. وفي أسوأ الأحوال، قد يجبرون لوميكي على العودة قبل أن تفهم شيئاً.

بالتالي يبقى خيارها الوحيد هو محاولة اكتشاف الحقيقة بنفسها، معتمدة على ذكائها وحسب. فهذا ما فعلته طوال حياتها.

جاهدت لوميكي لتذكّر المزيد. عليها أن تفكّر بصفة معيّنة تساعدها على إيجاد الصحفي. كانت تعرف أنّ عقلها يسجّل باستمرار حتّى أدقّ التفاصيل، وما عليها سوى استخراجها. كلاّ، لم يكن الصحفي يضع خاتماً. هذا يعني أنّه ليس متزوّجاً. إلاّ أنّ هذه المعلومة لا تفيدها بشيء. كانت قبضته على دفتره واثقة ومألوفة، ما يعني أنّها ليست مقابلته الأولى. لا بدّ أنّه صحفي خبير.

أغمضت لوميكي عينيها وحاولت أن تستعيد اللحظة التي خرجت فيها من الحمّام. مرّت بجانب الطاولة، ومسحت ببصرها الصفحة التي دوّن عليها ملاحظاته. فكّرت حينئذٍ أنّها حتّى لو كانت تتقن اللغة التشيكية ما كانت لتفقه شيئاً من الملاحظات لأنّ خطّ الرجل رديء للغاية. كانت مجرّد فكرة عابرة وبلا معنى في تلك اللحظة. لكن مقابل خطّه الرديء كان ثمّة أمر واضح في الدفتر. وقد لاحظته لوميكي بسبب التناقض، فماذا كان؟

حثّت نفسها على التذكّر. مرّت بجانبها مجموعة من السيّاح، غير أنّها أبقت عينيها مغمضتين. لم تسمح لذهنها بالاسترخاء ولا لثانية لأنّها كانت على وشك التذكّر.

رأت على زاوية الدفتر شيئاً صغيراً، كان رمزاً، بالطبع. إنّه

دفتر شـركة. تذكّرت لوميكي لون الرمز البرتقالي والمستدير. هذا بالإضافة إلى شيء آخر، هل كان عدداً؟ أجل، الرقم 8. بدا لها الرمز مألوفاً، فقد رأته من قبل، لكن أين؟

فتحت لوميكي عينيها.

رقم ثمانية برتقالي. أصبح واضحاً الآن في عقلها، لكنّها لم تستطع ربطه بشيء. أخذت جرعة كبيرة من زجاجة الماء ثمّ انطلقت. ربّما ستتذكّر إن مشت قليلاً. صعدت الأدراج المؤدّية من ضفّة النهر إلى الجسر. عند طرف الجسر، رأت لوحة إعلانات قلاّبة. كانت تعرض إعلاناً لمزيل للرائحة تظهر فيه امرأة مبتسمة، وكان يدور ويختفي ليكشف إعلاناً آخر لمسلسل بوليسي. من الواضح أنّ الناس لا يملّون أبداً من مشاهدة شخص يقتل شخصاً آخر كلّ ليلة، بينما يقوم أشخاص آخرون بالتحقيق في الحادث.

كانت لوميكي تتابع طريقها عندما لفت نظرها طرف الإعلان، الذي حمل دائرة برتقالية بداخلها الرقم ثمانية في الوسط.

بالطبع، إنّها القناة الثامنة.

أصبحت لوميكي تعرف أين يعمل المراسل.

تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

14

كان المبنى زجاجياً على نحو غير واقعي. فقد عكس الزجاج أشعة شمس الغروب الوردية، والبنفسجية، والبرتقالية التي بدت أكثر سطوعاً وعمقاً من لون الرمز. لم يكن من الصعب العثور على مقرّ القناة سوبر8 في وسط براغ. فقد كان الرمز الدوّار المثبّت على سطح البرج الزجاجي مرئياً عن بعد أميال. نظرت لوميكي من خلال الزجاج إلى الردهة حيث جلست موظّفة استقبال وصبّت كلّ تركيزها على طلاء أظافرها. يبدو أنّ بعض الموظّفين يعملون ليلاً.

كانت لوميكي قد أجرت أبحاثاً سريعة حول الشركة على موقع غوغل بهاتفها. واكتشفت أنّها مجموعة إعلامية لا تملك محطّة تلفزيونية ومنشآت لإنتاج الأخبار فحسب، بل تملك أيضاً صحيفة وعدّة مجلاّت، فضلاً عن عدد من المواقع على الشبكة. كانت سوبر8 تستحقّ اسمها، وتتمتّع بنفوذ كبير.

تردّدت لوميكي لأنّها لا تملك أيّ خطّة في الواقع. لذلك قرّرت فعل ما تقوم به عادة في حالات كهذه. فتظاهرت بالثقة التامّة، وكانت هذه الحيلة تنفع بنسبة 90 بالمائة من الحالات. فاستقامت في مشيتها، ودخلت عبر الأبواب الدوّارة.

من الواضح أنّ موظّفة الاستقبال التي تطلي أظافرها لم تكترث لرؤية فتاة تقف أمامها بحقيبة ظهر، بعد أن أمضت يومها

في الخارج في هذا الحرّ. طلبت منها بتعابير وجهها المغادرة على الفور من دون أن تكلّف نفسها عناء الكلام. غير أنّ لوميكي لم تسمح لتلك النظرة بالتأثير عليها.

بادرتها بالإنكليزية: «المعذرة، أنا أبحث عن رجل».

في تلك اللحظة، تبدّلت تعابير المرأة كأنّها تقول: «أولسنا كلّنا كذلك، يا عزيزتي؟».

تابعت لوميكي بثقة: «لسوء الحظّ، لا أذكر اسمه، لكنّني أعرف أنّه يعمل هنا، ولديّ موعد معه».

رمقتها الموظّفة من رأسها إلى أخمص قدميها، وبدت كأنّها تفكّر باستدعاء رجال الأمن. أخيراً تنهّدت وقالت: «عليك تزويدي بقليل من التفاصيل، فنحن نملك عدداً لا بأس به من الرجال العاملين هنا».

وصفت لوميكي الرجل بدقّة قدر الإمكان، بينما عقدت الموظّفة حاجبيها. حاولت لوميكي أن تخمّن سنّها، وقدّرت أنّه يتراوح بين الخامسة والعشرين والثلاثين. بدت كأنّها امرأة لم تواعد كثيراً من الرجال بقدر ما أرادت، لكنّها تعير اهتماماً كبيراً للرجال الوسيمين ووضعهم العائلي.

لهذا السبب، عضّت لوميكي على شفتها السفلية، ثمّ انحنت فوق المكتب وقالت لها بصوت منخفض: «إنّه مثير إلى حدّ ما، ولا يضع خاتم زواج».

عندئذ لمعت عينا الموظّفة.

«إذاً، لا بدّ أن يكون جيري! لكنّ دوامه انتهى على الأرجح. هل أنت واثقة- آه، مهلاً. ها هو! جيري، لديك زائرة».

رأت لوميكي الشابّ يغادر المصعد. أجل، كان هو نفسه الذي صادفته سابقاً. نظر إلى الموظّفة وإلى لوميكي باستغراب، ثمّ قال للموظّفة شيئاً بالتشيكية، فأشارت إلى لوميكي. عبس الرجل، وأدركت لوميكي أنّ عليها أن تتصرّف بسرعة قبل أن يقوما فعلاً باستدعاء رجال الأمن لإلقائها في الخارج.

قالت لوميكي: «لديّ أخبار عن الرجل الذي قابلتَه اليوم. لقد مات».

نجحت الحيلة، إذ رأت لوميكي إمارات الدهشة والاهتمام في عيني ذاك المدعوّ جيري.

أمسكها من ذراعها قائلاً: «فلنذهب إلى مكان آخر ونتحدّث».

نظرت إليهما الموظّفة بحزن، ثمّ تنهّدت وهزّت كتفيها قبل أن تستأنف طلاء أظافرها.

رفع رجل الهاتف إلى أذنه. كان عليه أن يتّصل فوراً، تلك هي التعليمات. أتاه الردّ مباشرة.

«أتت شابّة لأخذه من المكتب».

«شابّة؟».

«أجل، تكلّمت بالإنكليزية، وبدت كأنّها سائحة».

«هل يمكن أن تكون صديقة عابرة؟».

«لا يبدو عليها أنّها كذلك، بل قالت إنّها تعرف شيئاً عن موت الهدف واحد».

صمت المتكلّم لبضع ثوانٍ.

«هل تتبعهما؟».

«طبعاً».

«جيّد. دع الفتاة تخبره بما تعرف. قد تكون هذه الخطوة صحيحة في هذه المرحلة».

«وبعد ذلك؟».

«لا نعرف من تكون. ولا يمكننا أن ندع أحداً يدمّر خطّتنا الآن. عندما يفترقان، اقضِ عليها».

«مفهوم».

قبل أن يقفل الرجل الخطّ، أعطته المرأة مزيداً من التعليمات. «بعدما تغلق الخطّ، التقط صورة لها وأرسلها لي وللأب. ففي حال أفلتت منك، علينا أن نعرف شكلها».

بعد ذلك، أنهت المرأة المكالمة قبل أن يضيف الرجل شيئاً. فكبت الأنين الذي كان في طريقه إلى الخروج من حلقه. «إن أفلتت منك». لم يكن من عاداته ترك الأهداف تفلت منه. فوظيفته تقوم على إيقاف الهدف بشكل نهائي إن طلب منه عميله ذلك. وهو لم يكتسب سمعة أكثر قاتل موثوق في المدينة بسهولة.

لكنّ الثقة تعني أيضاً عدم الاكتراث بانفعال الزبون. فهو يتبع دائماً التعليمات بدقّة. لذلك رفع هاتفه وتظاهر أنّه يلتقط بعض الصور للأبنية القديمة وهندستها المعقّدة، مع أنّه كان في الواقع يصوّر الفتاة ذات الشعر القصير. التقط لها ثلاث صور جيّدة ستجعل التعرّف عليها سهلاً.

بدت الفتاة صغيرة السنّ وواثقة من نفسها، لكنّها غير خطرة على الإطلاق. لذا اعتقد أنّ القضاء عليها سيكون أمراً مبالغاً فيه. إلاّ أنّ مهنة الرجل لا تتضمّن طرح أيّ تساؤلات بشأن الأوامر

التي يتلقّاها. ولم يعتد على الإحساس لا بالشفقة ولا بالتعاطف مع أهدافه، وإلاّ لما استطاع ممارسة هذا العمل.

أرسل الرجل إحدى الصور إلى عميلته والرجل الذي تسمّيه الأب. أصبح بإمكانهما رؤية الفتاة وهي حية، لأنّها لن تبقى كذلك طويلاً.

بعد ساعتين، جلست لوميكي على سريرها في الفندق، ورأسها يضجّ بالأفكار والأسئلة. لم تعد تطيق ملابسها المبتلّة بالعرق، وعليها أن تستحمّ حالاً. فتحت الماء البارد، سيسهل عليها التفكير بما قاله جيري هاسيك وكيف سيؤثّر على خطوتها التالية.

دخلت إلى الحمّام، وخلعت ملابسها. أغلقت مصرف المغسلة بالسدّادة المعدنية الصدئة، ثمّ وضعت فيها ملابسها، وفتحت الماء، قبل أن تضيف بعضاً من صابون اليدين. هذا سيقضي بلا شكّ على أسوأ الروائح.

كانت لوميكي تعرف أنّ مياه الحمّام شحيحة، لكنّها لم تنزعج من ذلك. فقد استمتعت بالماء الفاتر، لا بل البارد تقريباً، على بشرتها، وأحسّت أنّه يصفّي ذهنها.

كان جيري قد قال-

فجأة سمعت لوميكي صوتاً غريباً. فأغلقت صنبور الماء وراحت تصغي. بدا كأنّ أحدهم يحاول الدخول إلى غرفتها مستخدماً المفتاح الخاطئ. هل نسي جارها رقم غرفته مجدّداً؟ لكنّها لم تسمع صوته وهو يشتكي ويشتم. هكذا تناولت منشفتها ولفّتها حول جسدها، وما إن أوشكت على الخروج لإسماع من

يعبث ببابها بعض الكلمات المنتقاة، سمعت الباب يفتح ببطء. عندئذٍ تجمّدت في مكانها وأصغت.

ثمّة من دخل غرفتها.

كانت الخطوات ثابتة ومكتومة، كأنّ الدخيل يتعمّد الدخول خفية.

أهو عامل التنظيف؟ لكن من غير الممكن أن يأتي في هذه الساعة المتأخّرة من الليل. كما أنّ العمّال يصيحون من الخارج «عامل التنظيف» أو «خدمة الغرف» قبل الدخول.

أهو لصّ؟ هذا أكثر احتمالاً. أملت لوميكي أن يكتفي بأخذ مالها ويترك جواز سفرها.

لم يكن في الحمّام نافذة، ولا يمكنها الهرب منه. ركّزت لوميكي كلّ آمالها على أن يكتفي اللصّ بسرقة ما يريد وأن يلوذ بالفرار. غير أنّها أدركت أنّ آمالها ذهبت أدراج الرياح عندما رأت قبضة باب الحمّام تتحرّك.

في تلك اللحظة، فُتح الباب، وظهر رجل ضخم الجثّة، أسمر البشرة، وأوشك أن يتعثّر بمنشفة ملقاة على الأرض. فتح ستارة حوض الاستحمام، لكنّه لم يجد أحداً خلفها. فلمس الملابس المنقوعة في المغسلة. كانت تفوح منه رائحة عطر رخيص ممتزجة برائحة العرق.

نظرت لوميكي إلى قمّة رأسه التي بدت عليها بوادر الصلع. على الأرجح، هو نفسه لا يدرك نفسه بعد، لأنّ البقعة الصلعاء ما زالت صغيرة جدّاً بين شعره الأسود. لم تمسك لوميكي أنفاسها، فهي تعرف أنّ إمساك النفس يؤدّي دائماً نتائج عكسية عندما يزفر

المرء عن غير قصد، ويصدر ضجّة أعلى بكثير من التنفّس الثابت.

تمسّكت جيّداً بأنبوب الهواء الممتدّ على سقف الحمّام. لحسن الحظّ، استثمر فندق النجمة والنصف هذا ما فيه الكفاية في سقف الحمّام بحيث استخدم لوحين خشبيين لحماية الأنبوب. هكذا استطاعت لوميكي أن تتسلّق وتختبئ بينهما.

نظر الرجل حوله، حتّى إنّه طرق على الجدران، إلاّ أنّه لم ينظر إلى الأعلى، ليس بعد على الأقلّ.

من يكون هذا الرجل، ولماذا دخل غرفتها؟

أحسّت لوميكي بخطّ من الماء يسيل من شعرها الرطب على جبينها وصولاً إلى طرف أنفها. هناك، تجمّع في قطرة وبدأت تتدلّى مهدّدة بالسقوط. كانت يداها تتمسّكان بالأنبوب بحيث لم تستطع مسحها. وعرفت أنّه إن سقطت قطرة الماء، ستستقرّ على رأس الرجل، على البقعة الصلعاء تماماً، وعندها سينظر إلى الأعلى.

أخذت يدا لوميكي وساقاها ترتجفان بفعل المجهود. وأصبح من الصعب أن تبقى ساكنة، لكنّها مضطرّة لذلك.

فجأة، تناهى إليها الغناء المألوف من الردهة. لقد عاد الجيران.

سقطت القطرة عن أنفها.

في تلك اللحظة، استدار الرجل واقترب من باب الحمّام ليصغي. أمّا القطرة، فهبطت على المنشفة الملقاة على الأرض من دون أن تحدث صوتاً.

انتظر الرجل مرور النزلاء ثمّ خرج.

انتظرت لوميكي إلى أن ابتعد وقع خطواته وتأكّدت أنّه رحل. بعد ذلك، نزلت عن أنبوب الهواء وهي ترتجف، وانهارت لبضع

ثوانٍ على منشفتها على الأرض.

كانت رائحة الرجل الحادّة ما زالت عالقة في الهواء.

أخيراً، عندما استطاعت الوقوف على قدميها، ذهبت لتفقّد أغراضها. وجدت كلّ شيء على حاله. الدخيل لم يكن لصّاً، بل كان يبحث عن شيء واحد، وذاك الشيء هو لوميكي.

عندئذٍ، أدركت أنّها لم تعد بأمان هنا.

السبت 19 يونيو

الصباح الباكر

15

تساقطت قطرات الماء على الرصيف. لا بدّ أنّ الكيس الورقي الرقيق قد تمزّق وبدأت المياه تسيل منه. كانت لوميكي قد وضعت فيه ملابسها المبتلّة، ودسّت كلّ الباقي في حقيبة ظهرها بأسرع ما يمكن. لم يستغرق منها ذلك سوى خمس دقائق. وها هي الآن تقف في الشارع وتتساءل ماذا ستفعل.

يمكنها إيجاد فندق رخيص آخر، لكن من سيُدخلها في هذه الساعة المتأخّرة؟ فقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة. ولم ترق لها فكرة التنقّل من فندق إلى آخر على أمل إيجاد غرفة خالية. كما أنّها لم تستسغ فكرة تمضية ساعة تبحث فيها عن سرير على هاتفها على الإنترنت أو في أحد المقاهي.

فجأة، شعرت بالإرهاق، وودّت لو تتّصل بالمنزل وتطلب من والديها شراء تذكرة عودة في تلك الليلة بالذات إن وجدوا لها رحلة. لكنّها كانت تعرف أنّها لن تُقدم على ذلك، وإلاّ ستخسر آخر ما بقي لها من استقلاليّتها. وستبدو طفلة ضعيفة لم تستطع تدبّر أمورها بنفسها.

في تلك اللحظة، ودّ جزء من لوميكي لو تعود طفلة وتطلب من والديها مساعدتها على الهرب عائدة إلى فنلندا. كانت ستستقلّ سيّارة أجرة إلى المطار، وتطير عائدة إلى الوطن. فتنسى أمر براغ،

ولينكا، وذاك الغريب الذي اقتحم غرفتها بحثاً عنها. كما ستنسى أمر جيري هاسيك وكلّ ما أخبرها به.

جيري. تبّاً.

أخرجت لوميكي سروالها المبلّل من الكيس ودسّت يدها في جيبه الأيسر، لتخرج بطاقة مبلّلة. مع ذلك، استطاعت قراءة رقم الهاتف. الحمد لله.

«اتّصلي بي إن حدث شيء، أيّ شيء، وفي أيّ وقت».

هذا ما قاله جيري. على الأرجح، لم يكن يعني ذلك حرفياً، لكن لم يكن لدى لوميكي خيارات كثيرة في تلك اللحظة. فهي ليست جاهزة بعد للعودة إلى الوطن، لأنّ هذا سيبدو استسلاماً، ولوميكي ليست انهزامية. بالإضافة إلى ذلك، سيطرح عليها والداها الكثير جدّاً من الأسئلة التي لا تملك لها جواباً.

طلبت لوميكي رقم جيري، وأملت ألاّ يردّ عليها صوت فتاة ناعس. فبعد لقائهما السابق، بدا لها أعزب، لكنّها قد تكون مخطئة. وحتّى لو كان كذلك، ليس من الضروري أن يمضي ليلته وحيداً.

ردّ على الهاتف بعد ثلاث رنّات.

قالت: «معك لوميكي أندرسون».

صمتت بعد ذلك، وفكّرت كيف تصيغ سؤالها بالإنجليزية لأنّ عبارة «هل يمكنني تمضية الليلة معك؟» قد تعطي انطباعاً خاطئاً.

* * *

بينما كانت لوميكي تدخل شقّة جيري، تذكّرت لقاءهما في وقت سابق من ذلك المساء. كان جيري قد اصطحبها إلى مقهى شعبي يعجّ بالناس وطلب لها الكوكا كولا. بعد ذلك، طلب منها

أن تخبره كلّ شيء عن نفسها، وسألها من أين تعرف جارو، وكيف عرفت بموته. فأخبرته باختصار قدر الإمكان أنّها سائحة عادية تماماً من فنلندا، لكنّها التقت بفتاة تدعى لينكا بمحض الصدفة. لم تذكر شيئاً عن اعتقاد لينكا أنّهما أختان من أبٍ واحد، فهي لا ترى أنّ هذه المسألة من شأن جيري، ليس في هذه المرحلة على الأقلّ، لا سيّما وأنّها لا تعرف عنه شيئاً، ولا ما إذا كان بإمكانها الوثوق به.

أخبرته كيف رأت جارو في لمحة خاطفة، ثمّ صادفته في المقهى بينما كان جيري يجري معه مقابلة، وكيف راحت تتساءل، عندما أخبرتها لينكا أنّه مات، ما إذا كانت الحادثة مجرّد مصادفة فعلاً.

علّق جيري قائلاً: «يبدو أنّك لا تعتقدين كثيراً بالصدف بالنسبة إلى فتاة تورّطت في كلّ هذا بمحض الصدفة».

لم تفتح لوميكي فمها، بينما أفرغ جيري كأس الماء بجرعة واحدة.

«لكنّك محقّة، أنا واثق أنّ وفاة جارو لم تكن من قبيل الصدفة».

نظر جيري إلى لوميكي بتمعّن. من الواضح أنّه يتساءل ما إذا كان يستطيع الوثوق بها. رأت لوميكي صورتها في عينيه: فتاة بحالة من الفوضى ظهرت فجأة في مكتبه بهذه القصّة الغريبة. ليس من الضروري أن يثق المرء على الفور بشخص مثلها. غير أنّ الوضع كان غريباً أساساً، ومن الواضح أنّ جيري أعجب بالسرعة التي تمكّنت لوميكي من إيجاده بها على الرغم من امتلاكها القليل جدّاً

من المعلومات.

هكذا قرّر الوثوق بها.

سألها: «ماذا تعرفين عن العائلة البيضاء؟».

كانت المرّة الأولى التي تسمع فيها لوميكي بهذا الاسم. فلينكا اكتفت بذكر «العائلة». وعندما أخبرها جيري أنّها مجموعة عقائدية يجري تحقيقاً حولها منذ مدّة، شعرت بالرغبة في طرق رأسها على الطاولة. كيف أمكنها أن تكون بهذا الغباء؟ لماذا لم تعرف ذلك من أفعال وأقوال لينكا الغريبة؟ بالطبع. والآن بعد ما قاله جيري، أصبح ذلك بديهياً.

«كما يبدو، يعتقدون أنّهم مختارون. وهكذا فإنّ كلّ من في المجموعة مرتبط بالآخر. وهم ليسوا مجرّد عائلة روحية، بل بيولوجية أيضاً».

طبعاً، هذا منطقي تماماً.

تابع جيري يقول: «مع ذلك، وخلال الأشهر القليلة الماضية، أجريت كثيراً من الأبحاث الوراثية وتبيّن لي أنّ بعض العلاقات في الأسرة غير واضحة تماماً».

سألته لوميكي: «هل من سبب محدّد دفعك لإنفاق كلّ هذا الوقت على إجراء أبحاث حولهم؟».

فكّر جيري، ودرس كلماته مجدّداً.

«قيل لي على نحو غير مباشر أنّ هذه المجموعة قد تملك مخطّطات خطرة تنوي تنفيذها. ما زلت لا أعرف ماهيّة تلك المخطّطات، لكنّني أحاول كشفها. وكان جارو قد وعدني بإجراء مقابلة تلفزيونية من دون كشف هويّته. لهذا السبب أجد صعوبة

في التصديق أنّ موته نتج عن حادث، لا سيّما وأنّ حالات وفاة لا تفسير لها وقعت في المجموعة من قبل، كتوقّف قلب شخص شابّ، أو سقوط شخص آخر بكامل وعيه في النهر ليلاً، أو انحراف سيّارة عن مسارها أمام شاحنة، أو مرور رجل أمام قطار. وكانت كلّ التحقيقات تنتهي بنقص الأدلّة».

علا ضجيج المقهى حولهما، بينما غرقا في الصمت للحظة. أتت الأصوات المحيطة بهما من عالم آخر أكثر إشراقاً وبهجة، في حين أحاطت فقاعة من الظلام بلوميكي وجيري.

قال جيري: «كثير منهم خائفون، لوميكي»، وفوجئت بصحّة لفظه لاسمها. «كثير منهم خائفون جدّاً».

هزّت لوميكي رأسها وقالت إنّ الشابّة التي التقت بها كانت خائفة هي الأخرى. وعدته لوميكي باختبار لينكا بتفصيل أكبر، وأعرب لها جيري عن أمله بلقائها لاحقاً وتبادل المعلومات، فوافقت.

ها هي الآن تقف عند باب مبنى منزله وتتساءل ما إذا كانت فكرة مجيئها إلى هنا في محلّها. قال لها جيري على الهاتف إنّها تستطيع النوم في منزله بالطبع، حتّى انتهاء رحلتها إن لزم الأمر. لكنّ لوميكي لم تكن معتادة على النوم في منازل رجال غرباء.

لا تثقي بأحد، ذاك كان شعارها. غير أنّها اضطرّت إلى مخالفة مبادئها كثيراً خلال العام الفائت، وليست واثقة ما إذا كان ذلك صحيحاً.

ضغطت لوميكي مطوّلاً وبقوّة على الجرس الذي كُتب عليه

هاسيك.

رياح حارقة تلفح الأشجار
رياح حارقة على طول الطريق
عرفت ما إن سمعت صوتك
أنّك ستحرقني
ستحرق قلبي

شـدّت لوميكي الأغطية حول رأسـها، وحاولت إيقاف صوت أنّا بو الذي يغنّي في رأسها. لكنّ ذلك لم ينفع. تمدّدت على فراش رقيق على أرض المطبخ في شـقّة جيري، وأدركت أنّ الاسـتغراق في النوم لن يكون سهلاً.

كان جيري قد أصرّ على لوميكي لتنام على السرير وينام هو على الأرض، لكنّها رفضت رفضاً باتّاً.

«أو يمكننا النوم سوية على السرير»، قال ذلك وهو يضع يده على كتف لوميكي.

تجمّدت في مكانها، واسـتعدّت لركله، ومن ثمّ أخذ حقيبتها والخـروج مسـرعة إلـى ليل براغ. شـعر جيري بتوتّرهـا، فأبعد يده بسرعة وبدأ يضحك.

«أنـا أمـزح! نحـن لا نعـرف بعضنـا وأنـت ما زلـت طفلة. لا تقلقي، أنا لست من هذا النوع من الرجال».

اسـتدارت لوميكـي ونظـرت إلـى عينيـه مباشـرة. بـدا صادقاً ومحرَجاً بعض الشيء. ففهمت أنّه قد يكون عابثاً، لكنّه ليس ممّن

يعتدون على النساء. وهو يرى لوميكي فتاة صغيرة.

بقيا يتحدّثان لساعة متأخّرة عن الرجل الذي اقتحم غرفة لوميكي في الفندق. كان جيري واثقاً أنّه قاتل أرسلته العائلة البيضاء.

قال: «يريدون التخلّص منك. من الأفضل أن نبقى سوية حتّى انتهاء إجازتك، فمن الممكن أن يكون الوضع خطراً عليك. علماً أنّه أصبح خطراً أساساً».

بعد ذلك تثاءبا، ثمّ نظرا إلى بعضهما وانفجرا ضاحكَين. فقد كان الوضع عبثياً. يتحدّثان عن خطر الموت، ثمّ يتثاءبان كأنّهما كانا يتجاذبان أطراف الحديث في موضوع مملّ. تأخّر الوقت، وكان يومهما حافلاً. هكذا قرّرا متابعة الكلام في الصباح بعد أخذ قسط وافٍ من النوم. فقد شعرت لوميكي أنّه من الممكن أن تغفو هناك على كرسيّها في وسط الحديث.

حضّر جيري سرير لوميكي بينما ذهبت لتغسل وجهها وتنظّف أسنانها. كبحت رغبتها في التلصّص على خزائن الحمّام، فقد فرضت نفسها عليه أساساً بما فيه الكفاية لهذا اليوم، ولا يجدر بها أن تتجسّس.

عندما وضعت رأسها أخيراً على الوسادة، ظنّت أنّها ستستغرق في النوم على الفور. لكنّها كانت مخطئة.

في السماء
لمعت النجوم البيضاء
كأنّها تحرسنا

جعلتها مزحة جيري بشأن النوم في سرير واحد تتساءل ما إذا

كانت ستقع مجدّداً في الحبّ، مع أنّها ما زالت تحترق بنار شوقها لبلايز. فقد أحبّته حقّاً. لهذا السبب لم يكن الشوق يفارقها. هل ستؤثّر بها مغازلة رجل آخر بالطريقة نفسها؟ هل ستتمكّن يوماً من الوثوق برجل بما فيه الكفاية لتسمح له بالاقتراب منها؟ لم تعرف لوميكي الجواب.

في إحدى ليالي أغسطس المضيئة بالنجوم، جلسا معاً على أحد المقاعد الخشبية في ساحة تاميلا، وكان كلّ شيء ما زال على خير ما يرام. مرّرت لوميكي أصابعها بخفّة على كويكبة النجوم الموشومة على عنق بلايز، وبحثت عن الشكل نفسه في السماء. عندما وجدته، غمرها إحساس مفاجئ بالسلام، واليقين، والفرح.

قالت: «أحبّك».

خرجت الكلمات على نحو طبيعي، وبخفّة، مع أنّ محتواها كان أثقل من أيّ شيء سبق أن قالته.

أجابها بلايز بشكل طبيعي: «وأنا أحبّك أيضاً».

كانت السماء فوقهما مظلمة ومرصّعة بالنجوم. وفي تلك اللحظة، شعرت أنّ كلّ نجمة تلمع من أجلهما فقط.

كنت أودّ لو أكون أجمل،
أجمل بكثير، كثير جدّاً، من أجلك.

الأحد 19 يونيو

16

صادفت لوميكي كثيراً من الكلمات الغريبة في حياتها، لكنّ كلمة «Funicular» ما زالت هي الأغرب حتماً. راحت تكرّرها مراراً على وقع هدير السيّارة. حتّى عبارة «سكّة الحديد المعلّقة» لا تبدو ساحرة بقدرها، مع أنّها تصف نظام النقل نفسه: عربة على سكّة حديد يجرّها سلك على منحدر. في الأحوال العادية، كانت لوميكي سترمي قطعة نقدية لتختار بين السير إلى أعلى تلّة بيترين وركوب العربة. لكن عندما سألت جيري عن رأيه هذا الصباح، قال لها إنّه يجدر بها حقّاً أن تجرّب ركوب العربة مرّة واحدة على الأقلّ ما دامت تملك فرصة. وبما أنّهم لم يبدؤوا بفرض الأسعار السياحية بعد، لسبب غير معروف، يمكنها صعود التلّة ببطاقة نقل عامّة عادية.

كانت لوميكي وجيري قد وضعا خطّة. سيتابع جيري أبحاثه، وحتّى لو لم يكن ذلك قراراً مثالياً، وعلى لوميكي أن تذهب بمفردها لمقابلة لينكا ومحاولة فهم ما تسعى إليه المجموعة. بعد ذلك ستلتقي بجيري في شقّته عصراً لمقارنة ما توصّلا إليه. فقد أصرّ عليها أنّه ليس من الآمن أن تقيم في أيّ مكان غير بيته، ولم تجد أمامها خياراً سوى الموافقة.

حدّقت الآن إلى المنحدرات الخضراء بينما كانت العربة تقوم

برحلتها البطيئة صعوداً. راحت عيناها تلتهمان الطبيعة التي كانت مختلفة جدّاً عن طبيعة فنلندا. وديان، وتلال، ومنحدرات، وسلالم، وسطوح. أعجبت كثيراً بتنوّع المشاهد. معظم الركّاب كانوا سيّاحاً أيضاً، ولم يكفّوا عن إبداء إعجابهم بالمشهد الطبيعي الجميل. رافقهم أيضاً عدد من أبناء البلد الذين جلسوا بتجهّم تماماً مثل الفنلنديين في باص في نوفمبر. كانت لوميكي قد عرفت أساساً أنّ أهل براغ ليسوا كثيري الكلام. وهذا يلائمها تماماً. فعندما لا يبتسم البائع، لا تضطر إلى الابتسام هي الأخرى.

للعمل وقته، وللابتسام وقته.

لم تكن الساعة قد بلغت العاشرة بعد، لكنّ الحرارة ارتفعت أساساً. هبّ من وقت إلى آخر نسيم خفيف من نوافذ العربة المفتوحة. وللحظة، شعرت لوميكي أنّها تقوم بما أتت من أجله أساساً. كانت مجرّد سائحة وحيدة لا يعرفها أحد ولا تعرف أحداً، حرّة في فعل ما تشاء والتفكير بما يحلو لها. تمنّت لو تنسى أنّها في طريقها للقاء لينكا.

جلس أمامها في العربة أب مع فتاتين صغيرتين. كانتا في سنّ الثالثة والخامسة تقريباً، ومن الواضح أنّهما أختان. كلاهما سرّحتا شعرهما في ضفائر، بحيث لفّت الصغرى ضفيرتها في كعكتين حول أذنيها، والأخرى في تاج حول رأسها، تماماً مثل لينكا. جلست الفتاتان جنباً إلى جنب وتلامست ركبتاهما. وكانت ركبة إحداهما تحمل شريطاً لاصقاً رُسمت عليه شخصية هالو كيتي.

فجأة، تذكّرت لوميكي يدين مربكتين ولطيفتين تضغطان شريطاً لاصقاً عليه صورة ميكي ماوس على ركبتها.

همس الصوت: «الأخت الكبرى ستنفخ على الألم ليزول».

ثمّ هبّت نفخة قوية خلّفت قطرتي لعاب على بشرتها، فضحك لوميكي الصغيرة.

لا يمكن أن تكون الذكرى صحيحة. لا بدّ أنّ من وضع الشريط اللاصق على ركبتها هو صديقة أو ابنة عمّ أكبر سنّاً، لكنّها لم تكن أختاً كبرى. فلوميكي ولينكا لم تلتقيا أبداً من قبل. ولا شكّ أنّ رؤية الفتاتين الصغيرتين حرّكت ذكرى منسيّة من الطفولة، وخلطها ذهن لوميكي بأشياء من الحاضر. فهكذا يعمل الدماغ البشري. هكذا يتمّ التلاعب بالناس لتوليد ذكريات مزيّفة، كالعنف وسوء المعاملة في الطفولة، حتّى لو أنّ شيئاً كهذا لم يحدث.

خطرت في ذهن لوميكي صورة أكثر إرباكاً، كابوس تفضّل عدم رؤيته. كانت تحاول وضع شريط لاصق، لكنّ الدماء كانت كثيرة بحيث بلّلت الشريط وتسرّبت من خلاله. كانت الدماء كثيرة. بدأت تبكي، ولم تفهم لماذا لم يوقف الشريط اللاصق تدفق الدماء.

توقّفت العربة فجأة مسبّبة اهتزازاً كان كفيلاً بتبديد الصور الغريبة من ذهن لوميكي. غير أنّه في الوقت نفسه أيقظ ذكرى بدت حية جدّاً بحيث لا يمكن أن تكون وهماً.

رأت صورة أمّها وأبيها ينحنيان فوقها، ربّما فوق سرير. كانت ممدّدة، تشعر كأنّها فيل مضغوط في كرة. هذا ما تذكّرت أنّها فكّرت فيه، كأنّها كرة ثقيلة لا تشعر بأطرافها. كان وجها أمّها وأبيها شاحبَين، منهكين، وحزينين.

قالا: «أختك الكبرى...».

قالا ذلك هما الاثنان معاً. ولسبب ما، لم يستطيعا قول المزيد.

شقّ الركّاب طريقهم من أمام لوميكي للخروج من العربة. فدفعت نفسها على السير، مع أنّ تلك الذكرى أثقلتهما. ما تذكّرته كان حقيقياً، إنّها واثقة من ذلك.

كانت لديها أخت كبرى.

هذا يعني أنّ شجرة العائلة التي تحاول رسمها في ذهنها قد شُذّبت بحماسة زائدة بعض الشيء.

سألتها لوميكي: «أنت حقّاً لا تعرفين أكثر من ذلك؟».

هزّت لينكا رأسها نافية.

كانت شجرة أسرتها مؤلّفة من لينكا، وأمّها هانا هافلوفا، وجدّيها ماريا هافلوفا وفرانز هافيل، وشقيق فرانز كلاوس هافيل، وابن كلاوس آدم هافيل.

سألتها لوميكي مجدّداً: «وآدم هو كبير الأسرة الآن؟».

كانت تتجنّب كلمة «مجموعة» لأسباب بديهية.

فكّرت لينكا للحظة. «آدم هو... آدم هو الأب. ندعوه الأب، حتّى من هم أكبر منه سنّاً، لأنّه يعتني بنا مثل أب حقيقي. وبالنسبة إليّ خصوصاً، أعتبره الأب الذي لم أعرفه يوماً».

«وكم عمره؟».

«لست واثقة، أظنّه في الستّين تقريباً. لماذا؟».

لم تجبها لوميكي بل اكتفت بهزّ كتفيها. أرادت أن تسأل المزيد عن آدم، لكنّها شعرت من تشنّج لينكا وتوتّر صوتها أنّ الموضوع حسّاس جدّاً وأنّ مزيداً من الأسئلة قد تخيفها.

كانتا جالستين على أعلى تلّة بيترين تشاهدان أفواج السيّاح

وهـم يتجوّلـون ويبدون إعجابهم من بـرج المراقبة الحديدي. كان شـبهه مضلّـلاً ببـرج إيفل الشـهير، إلاّ أنّه أصغـر حجماً وأقلّ رهبة نوعاً ما.

ألقـت لوميكـي نظـرة خاطفـة إلى أصابـع لينـكا الرقيقة. هل يمكن أن تكون هذه الأصابع قد وضعت شريطاً لاصقاً على ركبتها فـي مـا مضـى؟ ماذا لو أنّهما التقتا مـن دون أن تتذكّر لينكا ذلك؟ ومـاذا لـو كانت لينـكا تكذب بخصوص عدم رؤية لوميكي سـابقاً سوى في الصور؟ لكن لماذا؟ لم يكن لذلك أيّ معنى.

فكّرت لوميكي كيف تجلسان في هذا المكان جنباً إلى جنب بحيث يمكن أن تتلامس ركبتاهما، لكن في الوقت نفسـه، يفصل بينهمـا جـدار مـن الأسـرار الخفيّـة. فلوميكي لم تخبرها شـيئاً عن جيـري، أو الرجـل الـذي تـمّ إرسـاله لقتلها، أو أيّ شـيء ممّا قاله لها جيري. وكانت واثقة أنّ لينكا تخفي عنها أشياء هي الأخرى.

كان يا مكان، كان ثمّة فتاة تخفي سرّاً.

كان يا مكان، كان ثمّة فتاتان تخفيان عن بعضهما أسراراً.

كانتا تنتميان إلى عائلة واحدة، عائلة حافلة بالأسرار.

أوشكت لوميكي أن تضحك بصوت عالٍ.

سألتها: «وماذا عن أمّك، ألم تتحدّث يوماً عن آدم؟».

«كلاّ، سبق وأخبرتك بذلك، لم ألتقِ أبداً بأيّ من أقاربي من قبل. فقد توفّي جدّاي قبل ولادتي. ولم أكن أعرف أنّ لجدّي أخ، ولا أنّ ذاك الأخ له ابن. ولا أفهم لماذا لم تذكر أمّي شيئاً عنهم، مع أنّها عاشت معهم».

لفت كلامها انتباه لوميكي.

«عاشت أمّك مع العائلة؟ قبل ولادتك؟».

«نعم، لكنّها رحلت عنهم. ولا أجد تفسيراً سوى أنّ قوى الظلام سيطرت عليها، وإلاّ لماذا تترك أناساً طيّبين مثلهم؟».

نظرت لينكا إلى لوميكي بعينين مدهوشتين، كما لو أنّ لوميكي لا يمكن أن تملك جواباً. لكنّ هذه الأخيرة ارتعدت لدى سماع ذلك. فإن كانت أمّ لينكا قد تركت المجموعة وقطعت كل اتّصال بأعضائها، لا شكّ أنّها كانت تملك سبباً وجيهاً. وعند وفاتها، أتوا وقطفوا ابنتها مثل تفّاحة ناضجة.

«سألتُ آدم عن ذلك مرّة، لكنّه أجابني أنّ ذلك أصبح من الماضي، وأنّه عليّ نسيان أمّي. فأمّي تنتمي إلى حياتي السابقة، والمستقبل أهمّ من الماضي».

أدارت لينكا وجهها نحو الشمس، ثمّ أغمضت عينيها وابتسمت. ارتسم على وجهها ذاك التعبير المستنير الذي يثير اضطراب لوميكي كثيراً لأنّها تعرف أنّها لن تتمكّن من بلوغ ذلك الجزء من لينكا.

سألتها لوميكي بحذر: «هل من شيء معيّن سيحدث في المستقبل؟ في المستقبل القريب ربّما؟».

فتحت لينكا عينيها، ورمقت لوميكي بحدّة.

«الأشخاص الوحيدون المسموح له بمعرفة الحقيقة هم أفراد العائلة المؤمنون بتعاليمها. وأنت لست كذلك بعد. حتّى إنّك لا تصدّقين أنّك أختي ولا تصدّقين بقيّة الأمور أيضاً».

فكّرت لوميكي للحظة، وبدأت تعيد التفكير بقرارها السابق. كانت قد ارتأت عدم إخبار لينكا بما تذكّرته، ليس بشكل مباشر،

لكـن يبـدو الآن كأنّ لينـكا قد تنهض وتخرج من حياة لوميكي من دون النظـر إلـى الـوراء. ولا يمكن أن تسـمح برحيلها، فقد حدث ذلك معها مرّات عديدة من قبل.

كان صوت لينكا بارداً كالجليد تحت حرّ الشمس.

«قد يكون من الأفضل ألاّ نرى بعضنا مجدّداً. فأنت ستعودين قريبـاً إلـى أمّـك، وأبيـك، أبيك أنت. كان غباء منّي الاعتقاد أنّه قد يكون والدي أنا أيضاً. فأنا أملك أباً أساساً، آدم. أملك أساساً كلّ شيء، ولست بحاجة إلى شيء آخر».

لا، لا، لا. صاحت لوميكي بداخلها وتردّد صدى الكلمة في ذهنها. لا يمكن أن يحدث ذلك، مستحيل. ليس مجدّداً. لا يمكن أن تترك أهمّ الأشخاص في حياتها يفلتون منها.

هكذا، فعلت لوميكي أمراً لا يشـبهها إطلاقاً. أمسـكت بيدي لينـكا وشـدّت عليهمـا. ثـمّ نظـرت إلـى عينيهـا مباشـرة، وتبدّدت المسافة، وذاب الجليد في لحظة.

«أنا أصدّق أنّك أختي».

راقبت لوميكي وقع كلماتها عليها. أخذت يدا لينكا ترتجفان، ثـمّ تجمّعـتِ الدموع في مآقيهـا، وغصّت لوميكي بضع مرّات هي أيضـاً. شـعرت كأنّ حِملاً ثقيـلاً ومظلماً أزيح عن صدرها. أخيراً، أتى الجواب، الحقيقة.

مـرّت بهمـا مجموعة من السـيّاح، لكنّهما لم تلاحظا. التصق شـعرهما ببشـرتهما بفعـل الحـرارة والعـرق الناجمَيـن عـن ذاك الاعتراف، لكنّهما لم تشعرا بشيء. شعرتا أنّهما وحيدتان، كما لو أنّهما في عالم خاصّ بهما.

احتضنت لينكا لوميكي بقوّة، وعانقتها لوميكي هي الأخرى. أحسّت بدموع لينكا على كتفها حيث امتزجت مع عرقها المالح أيضاً. ثمّ غمرتها فرحة مفاجئة لم تشعر بها منذ أن خسرت بلايز.

يا لها من معجزة أن تأتي إلى براغ وتعثر على شقيقة. هذه هدية، وعلى لوميكي أن تقبلها لأنّها لن تحصل أبداً على فرصة أخرى.

عندما ابتعدت لينكا عنها، وجدت نفسها تمسح لا شعورياً دموع لينكا بظاهر يدها. مجدّداً، أتاها الشعور الغريب نفسه أنّها فعلت ذلك من قبل. مع أنّ هذا لا يبدو ممكناً. ربّما كانت الجينات المشتركة والدم المشترك الذي يجري في عروقهما يمنحهما شعوراً فطرياً بالألفة. صحيح أنّه لم يسبق للوميكي أن صدّقت أموراً كهذه، لكن ربّما حان الوقت لكي تعيد التفكير بافتراضاتها. فقد عاشت كثيراً من التجارب الصعبة.

قالت لينكا: «أريدك أن تأتي لمقابلة العائلة».

أرادت لوميكي ذلك هي أيضاً. ليس بسبب العائلة، بل بسبب لينكا، لتتأكّد أنّها بأمان. فإن لم تكن كذلك، وإن وجدت أنّ العائلة خطرة، ستنقذ أختها.

لديها أخت تريد إنقاذها، وهذه الفكرة المفاجئة أسعدتها.

سألتها: «لكن هل سيقبلون بي؟».

أجابت لينكا مبتسمة: «لن نعطيهم خياراً آخر».

لم يسبق أن رأت لوميكي ابتسامة عريضة كهذه على وجه لينكا، ابتسامة سعيدة وحرّة.

كان يا مكان، كان ثمّة امرأة تخفي سرّاً.

للأسرار خاصّية هامّة، فهي لا تبقى أسراراً إن كُشفت للغرباء. فالسرّ مقدّس، ولا ينبغي تدنيسه عبر مشاركته مع أشخاص لا يفهمونه.

غير أنّ المرأة تكلّمت. فكّرت بالعيش من دون العائلة، فهربت. خبّأت اسمها الجديد وعنوانها عن العائلة، وخبّأت طفلتها. وتلك هي أسوأ أنواع الأسرار. أسرار خاطئة. والأسرار الخاطئة تُكشف دوماً، عاجلاً أم آجلاً.

لهذا السبب، عانقها ماء النهر البارد. شدّها إلى الأعماق، ثمّ هدهدها مثل عاشق أناني. قبّل شفتيها، ثمّ فتح فمها. ملأ فمها وأنفها، ثمّ دخل رئتيها ودفع منهما الهواء. أرادها الماء له وحده، جزءاً من مملكته الباردة التي تُحكى فيها قصص كئيبة بأصوات خافتة.

لم تسقط المرأة في الماء بإرادتها أو نتيجة حادث، بل دُفعت إليه دفعاً. والخطّاؤون لا يعومون، بل مصيرهم الغرق محتّم.

وكذلك هو مصير أسرارهم الخاطئة.

17

كان على الطبق الأبيض حبّتا بطاطس مسلوقتان، وجزرتان مسلوقتان، وشريحة لحم، وشريحة خبز. لم تكن الوجبة تحتوي كما يبدو على أيّ توابل، أو أعشاب، ولم يبد حقّاً أنّ أحداً ما بذل أيّ مجهود لجعل الطعام أفضل مذاقاً وأكثر شهية. ليست هذه بالضبط فكرة لوميكي عن غداء يوم الأحد.

قُدّم الطعام في قاعة العشاء الكبيرة بجانب المطبخ. تمّ إرسال لوميكي ولينكا مباشرة إلى الطاولة، إلاّ أنّ لوميكي استطاعت أن ترى ثلاثة غرف كبيرة أخرى في الطابق السفلي، وسلّماً خشبياً متداعياً يقود إلى الطابق الثاني. من الواضح أنّ غرف النوم تقع هناك. أملت لوميكي أن تجد الفرصة لاستكشاف المنزل بعناية أكثر، لكنّ أحداً لم يعرض عليها القيام بجولة بعد.

همستْ لينكا: «الغداء لن ينتظر».

استرقت لوميكي نظرات خاطفة إلى بقيّة الجالسين إلى الطاولة الكبيرة. كانوا حوالى عشرين شخصاً. بدا المسنّون أنّهم يجاورون الثمانين من عمرهم على الأرجح، أمّا الشباب فكانوا أكبر من لينكا بعام أو اثنين، بحيث بدت هذه الأخيرة الأصغر سنّاً بينهم. انحنت الرؤوس لدى قيام آدم هافيل بأداء الصلاة باللغة التشيكية، من مكانه عند رأس الطاولة. كانت الصلاة طويلة ولم تفقه منها

لوميكي شيئاً. فاستغلّت الفرصة لتفحّص أفراد المجموعة، الذين كانوا يرتدون جميعاً ملابس قطنية بيضاء وفضفاضة قليلاً. كانوا نحيفين، لا بل هزيلين، ولا عجب في ذلك ما دامت هذه هي أهمّ وجبات الأسبوع. غير أنّها لم تجد أوجه شبه بارزة أخرى، ولا يبدو من ملامحهم أنّهم أقرباء. مع ذلك، ساد وجوه الجميع التعبير الهادئ والفاتر نفسه وهم يوأدّون صلاتهم بتركيز بأعين مغمضة.

كان كلّ ما في المنزل بالياً ومتداعياً بعض الشيء. فورق الجدران الباهت تقشّر في بعض الأماكن. كما تشقّق طلاء خشب الأرضيات. أمّا النوافذ فكانت متّسخة، وتحتاج إلى تنظيف. قطع الأثاث القليلة تحتاج إلى بعض الإصلاح. والجدران خلت من أيّ صور أو لوحات بحيث لم ترَ أيّ قطعة زينة أو أيّ شيء غير ضروري يُشعر المرء أنّه في منزله. لم يكن في هذا البيت شيء يشير إلى أنّ أحداً يعيش فيه، بل بدوا كأنّهم في مبنى مهجور، يتناولون طعام النزهة في منزل خالٍ.

يمكن وصف آدم هافيل، بلحيته وحاجبيه الكثيفين، بكلمة «رمادي». كان شعره ولحيته رماديين، وحتّى لون بشرته مائل إلى الرمادي بعض الشيء. وكان من الصعب تحديد سنّه بدقّة، لكنّه قد يكون في العقد السادس، كما قدّرت لينكا. لم تستطع لوميكي النظر إليه من دون أن يراودها إحساس غريب أنّ هذا الشحوب كان مجرّد تواضع مزعوم. فحركاته المتعمّدة بكلّ تفاصيلها تعكس إرادة قوية وشيئاً من التهديد. وصحيح أنّه كان نحيلاً، لكنّ عضلات ذراعيه واضحة المعالم. كما أنّ يديه المضمومتين في الدعاء بدتا قويتين بما فيه الكفاية لخنق شخص ما.

فجأة، رفع آدم هافيل نظره في وسط صلاته واستقرّت عيناه الرماديتان على عينيّ لوميكي. فخفضت هذه الأخيرة نظرها فوراً وحدّقت إلى الأسفل. فما من سبب لجعل زعيم المجموعة يزداد شكّاً بها.

مجرّد دخولها إلى المنزل بدا أشبه بأعجوبة. فالمرأة نفسها التي طردت لوميكي في المرّة السابقة استوقفتهما عند البوّابة. فاندفعت لينكا تتبادل معها حديثاً حامياً باللغة التشيكية، وبدا مجدّداً أنّ لوميكي قامت بهذه الرحلة بلا جدوى. فجأة خرج آدم هافيل من المنزل، وتأمّل لوميكي جيّداً، ثمّ تبادل بضع كلمات مع لينكا قبل أن يسمح لهما بالدخول.

سألتها لوميكي هامسة: «ماذا قلت له؟».

هزّت لينكا كتفيها مجيبة: «قلت له وحسب إنّك أختي وترغبين في تناول الطعام معنا. فوجدها آدم فكرة جيّدة».

مشى الرجل أمامهما من البوّابة إلى المنزل، وراقبت لوميكي ظهره المستقيم كالعمود، وشعرت أنّ عليها أن تحذر منه.

أخيراً انتهت الصلاة، وأعطاهم آدم إشارة البدء بتناول الطعام. خيّم الهدوء على الطاولة باستثناء صوت ارتطام السكاكين والشوك بالأطباق، فيما اقتصر الشراب على الماء. قطعت لوميكي قطعة بطاطس وقطعة لحم ووضعتهما في فمها. كان الطعام يخلو أيضاً من الملح.

من الواضح أنّ آدم لاحظ التعبير الذي كسا وجهها، لأنّه راح يشرح لها بالإنكليزية.

«ربّما كنت تتساءلين عن سبب خلوّ طعامنا من المطيّبات،

وكذلك نمط حياتنا عموماً. نحن نعتقد بكلّ الأشياء النقية والأصلية، ومبدؤنا هو البساطة. فكلّما قلّ انشغال الإنسان بالدنيا، ازداد قرباً من ربّه. لهذا السبب لا نملك تلفزيونات، أو هواتف، أو أجهزة إلكترونية، أو كتباً. كما أنّنا لا ننكّه طعامنا. في بعض الأحيان نشعل البخور، لكنّ الهدف منه هو تنقية حاسّة شمّنا وحسب. فنحن نعتقد أنّ العقل البشري يكون قادراً على استقبال ما هو مقدّس عندما يكون نظيفاً وأبيض كالثلج المتساقط حديثاً».

نظرت لوميكي إلى أفراد العائلة الذين راحوا يهزّون رؤوسهم بوقار لدى سماع كلام آدم. لم يبد عليهم أنّهم بؤساء أو مضطهدين، بل بدوا هادئين ومتّزنين. من الواضح أنّهم ينفردون باكتلاك شيء ثمين. وللحظة خاطفة، حسدتهم لوميكي.

بدأ أعضاء المجموعة يتحدّثون مع بعضهم البعض بأصوات خافتة.

فسألت لوميكي لينكا بصوت منخفض: «عمّ يتحدّثون؟».

«نحن نستعرض أحداث اليوم. من يعملون يتحدّثون عن ذلك، والآخرون يصفون لهم ما فعلوه في المنزل».

انساب الحديث بسلام. تأمّلت لوميكي تعابير الحاضرين، لكنّها لم تستطع استنتاج شيء من ذلك. لم تر وجهاً مبتسماً أو وجهاً غاضباً. هل مفهوم المجموعة للزهد يتضمّن أيضاً عدم إظهار العواطف، أم عدم امتلاك عواطف أساساً؟

ما إن تمّ استعراض أحداث اليوم ومقارنتها كما يبدو، انتهى الغداء بصمت. لم يطرح أحد أيّ سؤال عن لوميكي أو يعلّق على وجودها بأيّ شكل من الأشكال. كان المزاج السائد أشبه بالحلم،

فاتر ومثير للأعصاب على السواء. حاولت لوميكي من وقت إلى آخر أن تلتقط نظرات لينكا، لكنّ هذه الأخيرة اكتفت بالتحديق إلى طبقها.

ما إن فرغ الجميع من تناول الطعام، حتّى قال آدم شيئاً بالتشيكية، فأمسك الجميع بأيدي بعضهم. أمسك رجل عجوز بيده المرتعشة قليلاً يد لوميكي اليسرى، بينما أمسكت لينكا بيدها اليمنى.

سألت هامسة: «ما هذا؟».

أجابت لينكا: «إنّها دائرة الخطيئة. سيعترف كلّ منّا بخطاياه لهذا الأسبوع».

لم تستطع لوميكي الإجابة قبل أن تبدأ الاعترافات. إن بدت لها صلاة بدء الطعام طويلة، فإنّ دائرة الخطيئة طالت لعهود من الزمن. لم تستطع لوميكي أن تفهم كيف استطاع أولئك الأشخاص المتزمّتون والمتقشّفون ارتكاب خطايا تحتاج إلى هذه الاعترافات الطويلة. عند انتهاء كلّ منهم، كانت الأيادي ترتفع للحظة ثمّ تنخفض مجدّداً. لا بدّ أنّ لهذه الحركة علاقة بنيل الغفران على أفعالهم الخاطئة.

أخيراً، أتى دور لوميكي. فابتسمت بتهذيب، ثمّ هزّت رأسها رافضة وحاولت تمرير الدور إلى الشخص التالي. غير أنّ هذا الخيار لم يكن مطروحاً.

قال آدم بلطف، وهو ينظر مطوّلاً إلى لوميكي: «على كلّ منّا أن يعترف بخطاياه».

لاحظت لوميكي أنّ آدم يتحدّث بالإنكليزية بطلاقة غريبة. في

الواقع، لم تلحظ فيها أيّ لكنة تشيكية على الإطلاق.

أجابت لوميكي: «لا أشعر أنّني أخطأت».

اختفى اللطف من صوت آدم وهو يقول: «كلّنا نرتكب الخطايا، يوميّاً».

«في هذه الحالة، فإنّ هذه المسألة شخصية، ولا أرغب في مشاركتها مع أحد».

قال شابّ وسيم الوجه شيئاً، فالتفت آدم لينظر إلى لوميكي مجدّداً ويترجم: «نحن لا نملك مسائل شخصية هنا، بل نتشارك كلّ شيء».

فجأة، تبدّل المزاج حول الطاولة وأصبح مهدِّداً. تركّزت كلّ النظرات على لوميكي. حتّى لينكا نظرت إليها، لكنّ نظراتها كانت متوسّلة وضغطت على يد لوميكي لطمأنتها.

بدأ العرق يتصبّب من عنق لوميكي التي لم يعجبها ما يجري إطلاقاً. أرادت الخروج من هذا المكان فوراً.

قالت وهي تحاول الوقوف: «شكراً على العشاء، لكن عليّ الذهاب الآن».

غير أنّ قبضة الرجل العجوز الجالس إلى جانبها كانت قوية على نحو غريب، بحيث أجبرها على الجلوس مجدّداً. في هذا الوقت، نهض آدم وأتى إليها مسرعاً في بضع خطوات، ثمّ وضع يداً ثقيلة وحازمة على كتف لوميكي.

قال بهدوء: «إن لم ترغبي في الاعتراف بخطاياك هنا، ستفعلين في زنزانة الخطاة».

سألته لوميكي: «أين؟» ونظرت إلى لينكا التي راحت تهزّ

رأسها يميناً ويساراً.

قال آدم: «زنزانة الخطاة هي لأولئك الذين يحتاجون إلى الوقت للتفكير في خطاياهم».

لم يعجبها صوته الخافت. فأفلتت من قبضته ونهضت، لكنّ عدّة أيادٍ قبضت عليها كأنّها تلقّت أمراً بذلك.

صاحت لينكا: «ليس في الزنزانة!».

بالكاد تمكّنت لوميكي من رؤية عينيّ لينكا تمتلئان بالدموع، قبل أن تُحمل من ذراعيها وساقيها إلى خارج قاعة الطعام، على الرغم من مقاومتها الشرسة. كانت عينا لينكا تتوسّلان للغفران.

فتح آدم هافيل الصورة على هاتفه الذكي، وإن كان يعرف أساساً أنّه ليس مخطئاً. كانت الفتاة نفسها. الشعر القصير نفسه، وتعبير الوجه المتعالي والقاسي قليلاً. غير أنّ ما لم يخطر في باله هو مدى الشراسة التي ستقاوم فيها. فقد احتاج إخضاعها إلى عدّة رجال. ما إن رآها آدم عند البوّابة، حتّى عرف أنّها الفتاة التي كان يفترض بهم تصفيتها. بالطبع، لن يقوم بذلك بنفسه، لأنّ عملاً كهذا سيخيف الآخرين. لهذا السبب، دعا الفتاة إلى المنزل، فدخلت إلى الفخ بقدميها مثلما يقتاد حمل إلى الذبح. وكان يعرف أنّه لن يمضي وقت طويل قبل أن تصبح صعبة المراس وتعطيه عذراً لسجنها في زنزانة الخطاة.

هل هي حقّاً شقيقة لينكا؟ في الواقع، لم يكن يكترث لهذه المسألة. فهو يملك تعليمات واضحة بالتخلّص من الفتاة، الأمر الذي يجعل مسألة القرابة ثانوية. بالإضافة إلى ذلك، لطالما كانت

لينكا غريبة الأطوار بعض الشيء، تعيش في عالم الخيال أكثر منها في عالم الواقع. علماً أنّ هذا الأمر لم يكن يزعجه حقّاً. فقد جعل السيطرة على لينكا أسهل من السيطرة على أمّها، التي هربت من العائلة عندما حملت وحاولت أن تعيش حياة عادية. بالطبع لم توافق العائلة على ذلك، لأنّه لم يسبق لأحد أن تركها. فمن الخطير جدّاً أن يطّلع الغرباء على شؤونها.

بيد أنّ العثور على والدة لينكا لم يكن سهلاً كما توقّع، مع أنّها عاشت في المدينة نفسها. استغرق الأمر خمسة عشر عاماً، قبل أن يتمكّن آدم أخيراً من تعقّب أثرها، وجعلها تدفع ثمن خطاياها. فالغرق ملائم جدّاً للخطاة. كما أنّ الوفاة بدت كأنّها حادثة، وقُيّدت على هذا الأساس في السجلاّت الرسمية.

راح آدم يتفحّص هاتفه في القبو، خلف باب مقفل. هذا ما كان يفعله دائماً. بالطبع، لم يكن حظر الأجهزة الإلكترونية سارياً عليه، لكن لا ضرورة لأن يعرف الآخرون بذلك، بل يجب أن يبقى إيمانهم قوياً ونقياً قدر الإمكان.

كتب آدم رسالة قال فيها إنّهم يستطيعون أخذ الفتاة من الكوخ الحجري الصغير في الباحة، وإنّه سيترك المفاتيح قرب السلّم المؤدّي إلى الباب الخلفي. وينبغي أن تتمّ العمليّة بحيث يبدو الأمر كأنّ الفتاة هربت، وإلاّ سيثير اختفاؤها تساؤلات لا داعٍ لها بين أفراد العائلة. ثمّ وعد بإبقاء الآخرين في قاعة الصلاة في الجانب الآخر من المنزل خلال الساعة التالية. أرسل آدم الرسالة إلى المرأة التي سترسلها بدورها إلى منفّذ العمليّة. هكذا كانت تتمّ الترتيبات، لأنّه من الأفضل أن تصدر الأوامر دوماً من مصدر

واحد.

للحظة، تخيّل فكرة أن يقوم فعليّاً بالاعتراف بكلّ أعماله الخاطئة في دائرة الخطيئة. هل سيشعره ذلك بالارتياح؟ هذا أمر بعيد الاحتمال. فهو أوّلاً، لا يعتقد بمفهوم الخطيئة. وثانياً، كان واثقاً أنّه لن يشعر بالتحسّن إلاّ بعد تنفيذ المهمّة وابتعاده عن هذا المكان.

كان طعم الخرقة الرمادية التي تكمّم فم لوميكي يزداد سوءاً مع مرور كلّ لحظة. وهو طعم لاءم شكلها: مغبرّ، مثير للغثيان، نتن، وقذر. في حين ضغطت الحبال الخشنة والمشدودة على معصميها وكاحليها.

زنزانة الخطاة تستحقّ اسمها. فهي عبارة عن كوخ حجري بالكاد تبلغ مساحته بضعة أقدام مربّعة، ويقع في الجزء الخلفي من الفناء. خلا المكان من أيّ مقاعد. على الجدار، كان ثمّة رمز فقط، فضلاً عن حقيبة لوميكي التي عُلّقت على مسمار عالٍ بحيث لا يمكنها بلوغها بيديها المقيّدتين. على مقربة من السقف، رأت نافذة صغيرة يمكن للسجين أن ينبهر من خلالها بالسماء الزرقاء. أمّا الباب، فكان مقفلاً من الخارج.

كانت لوميكي قد بذلت بعض المحاولات لحلّ قيودها أو إيجاد شيء يمكنها حفّ القيود عليه على أمل أن تنقطع، لكن بلا جدوى. ضغطت مؤخّر رأسها على الجدار، وجعلته يحتكّ به إلى الأعلى والأسفل، ويميناً ويساراً. إلاّ أنّ الخرقة كانت مربوطة بإحكام ولم تتزحزح من مكانها. فبذلت لوميكي جهدها لتجاهل

الطعم المقزّز.

وقفت على قدميها بصعوبة، بسبب كاحليها المقيّدين بإحكام، وحاولت أن ترى كم يمكنها أن تقفز. وجدت أنّها لا تستطيع الارتفاع أكثر من بضعة إنشات، وهذا لا يساعدها في شيء. في محاولتها الثالثة، فقدت توازنها وسقطت، فارتطم أسفل ظهرها بالأرض الصلبة، ودمعت عيناها بفعل الألم المبرح.

بقيت لوميكي جالسة وحاولت استجماع قواها. فقد سبق وخسرت كثيراً من الطاقة. كان من الصعب عليها السيطرة على ذعرها. لقد استطاعت تجاوز كثير من الظروف، حتّى احتجازها في ثلاّجة، لكنّها شعرت في تلك اللحظة أنّ الحظّ ليس حليفها، وأنّها في مأزق لا مخرج منه.

بدت السماء خارج النافذة الصغيرة جميلة على نحو موجع.

أحسّت لوميكي أنّ الوجبة التي تناولتها للتوّ راحت تتقلّب في معدتها مهدّدة بالخروج مجدداً. فأجبرت نفسها على الابتلاع، مع أنّ هذا يعني الإحساس بطعم الخرقة. غير أنّ الخوف من التقيّؤ سيزيد من إحساسها بالغثيان، لذلك عليها أن تفعل شيئاً لتشغل نفسها وتخفّف من إحساسها بالذعر.

قفي. أسندت لوميكي ظهرها على الجدار المقابل للباب، ثمّ رفعت ساقيها ودفعت قدميها على الباب، إلاّ أنّ هذا الأخير لم يتحرّك من مكانه. كرّرت هجومها ثلاث مرّات، بلا أيّ جدوى. أخيراً جلست على الأرض لاستجماع قواها وأفكارها.

ماذا لو أسندت ظهرها إلى جدار وقدميها إلى آخر، وحاولت أن ترفع جسدها إلى الأعلى؟ هل ستتمكّن من الوصول إلى

حقيبتها، أو حتّى إلى النافذة؟ هل يمكنها أن تكسر الزجاج أو تفتحه؟

لم تكلّف لوميكي نفسها عناء حساب الاحتمالات، لأنّها تعرف أساساً أنّ فرصها ليست وفيرة. كما أنّ الاحتمالات لم تساعدها على الفرار من شيء من قبل، بل كانت تنجح بالفرار كلّ مرّة بفضل مثابرتها، وصبرها، وعدم استسلامها أبداً.

لم تشأ لوميكي التفكير في ما يحضّره لها آدم هافيل، إلاّ أنّها لم تستطع أن تمنع نفسها، فهي لا تثق به البتّة. فإن لم تكن وفاة جارو حادثة، وهو أمر أصبحت واثقة منه، لن يكون ثمّة سبب لتركها حية هي الأخرى. هل سيقتلها بنفسه، أم سيرسل شخصاً آخر لفعل ذلك؟ وهل سيقتلونها هنا في زنزانة الخطاة، أم سيعدمونها في مكان آخر؟

الموت في زنزانة للخطاة. لم يكن بنيّة لوميكي أن تستسلم لمصير كهذا.

ضغطت لوميكي ظهرها بقوّة على الجدار، بحيث شعرت بصلابة ومتانة سطحه. سيكون الجدار صديقها الآن لأنّه سيدعمها. ركّزت على رفع ساقيها المقيّدتين على الجدار المقابل، وعرفت أنّ عمليّة الصعود البطيئة ستكون صعبة ومرهقة، ولن تتمكّن على الأرجح من تجربتها سوى لمرّة واحدة. بالتالي، عليها أن تنجح من المحاولة الأولى.

قفزت، وأصبحت معلّقة في الهواء، بحيث شكّل جسدها جسراً بين الجدارين. استطاعت أن تتوازن، ثمّ أخذت نفساً عميقاً من أنفها. كانت بحاجة إلى أكبر كمّية ممكنة من الأوكسجين في

دمها.

راحت تتقدّم إنشاً تلو الآخر، وكان عليها أن تبقي الضغط متساوياً بين ظهرها والجدار من جهة، وقدميها والجدار المقابل من جهة أخرى. عندما أصبحت قدماها عاليتين بما فيه الكفاية بحيث هدّد مركز الجاذبية بالميل نحو كتفيها وعنقها، بدأت لوميكي تدفع ظهرها إلى الأعلى. كان هذا الجزء أصعب بكثير من تحريك قدميها. إنش واحد، إثنان.

واصلت لوميكي حركاتها البطيئة والمؤلمة. وبدا أنّ طعم الخرقة المقزّز يزداد حدّة في فمها.

ما زال أمامها مسافة قصيرة قبل أن يصبح رأسها بمستوى حقيبة الظهر. هكذا ستدفعها لتسقط عن المسمار. في الحقيبة، ثمّة سكّين جيب يمكنها استخدامها لقطع الحبال.

في تلك اللحظة، سمعت خطوات في الحديقة على الطريق المؤدّي إلى الكوخ، قبل أن تتوقّف الخطوات عند الباب. فحرّكت لوميكي قدميها بسرعة زائدة بحيث خسرت توازنها، وسقطت على الأرض.

أصابها الذعر عندما سمعت شخصاً يفتح قفل الباب.

18

قام أفضل قاتل في براغ وأكثرهم جدارة بالثقة بتكرار التعليمات التي تلقّاها.

سيذهب إلى المنزل. بجانب السلّم الخلفي، سيجد مفتاح الكوخ. سيأخذ الفتاة المقيّدة بلا حول ولا قوّة، وسيجعل الأمر يبدو كأنّها هربت من تلقاء نفسها.

المهمّة بسيطة للغاية، ولا تشتمل على أيّ هامش للخطأ أو الفشل.

لقد استطاع الهدف أن يفرّ منه مرّة، ولن يتكرّر ذلك.

راقبت لوميكي الباب وهو يُفتح ببطء مخيف. حاولت التفكير. هل ثمّة طريقة لخداع الشخص القادم؟ ماذا لو تظاهرت بالإغماء؟ سيمنحها ذلك عنصر المفاجأة. صحيح أنّه لن يساعدها كثيراً، لكن عليها تجربة شيء ما. فهي لم يسبق أن استسلمت مطلقاً، ولن تفعل ذلك الآن.

أغمضت لوميكي عينيها واستلقت بلا حراك على الأرض.

دخل أحدهم إلى الحجرة الصغيرة.

وضع يده على رأس لوميكي ومرّرها على شعرها.

همس صوت: «لوميكي».

فتحت لوميكي عينيها لترى لينكا أمامها.

قامت لينكا بحلّ قيود لوميكي، وأخرجت الخرقة من فمها. فراحت هذه الأخيرة تقحّ عدّة مرّات بصوت منخفض، قبل أن تتمكّن من استنشاق الهواء النظيف الذي بدا عذباً على نحو لا يصدّق.

قالت لها لينكا بصوت مضطرب ومليء بالخوف: «عليك الهرب حالاً. الوقت ضيّق».

أجابتها لوميكي وهي تأخذ حقيبتها عن المسمار: «ليس من دونك».

عبست لينكا وهي تفكّر بالخيارات المتاحة، ثمّ نظرت من خلف كتفها إلى المنزل.

«لا وقت لدينا للنقاش. الباقون في قاعة الصلاة حاليّاً، لكنّني لا أدري كم سيطول مكوثهم هناك. أعطاني آدم الإذن لأصلّي في غرفتي، وكنت أعرف أنّه يحتفظ بمفتاح إضافي لزنزانة الخطاة في المدفأة. عليّ إعادته قبل أن يلاحظ».

«لكنّه سيقبض عليك وسيعاقبك».

«كلاّ لن يحدث ذلك. سأجعل الأمر يبدو كما لو أنّك هربت من تلقاء نفسك. هيّا، اذهبي حالاً!» بدت لينكا يائسة، وكانت ذراعاها وساقاها ترتجفان.

أرادت لوميكي أن تهرب، لكنّها كانت تخشى ترك أختها تحت رحمة أولئك المجانين. هل سترى لينكا مجدّداً إن رحلت الآن؟

«هذا المكان خطر. لينكا، أنت لا تعرفين... أظنّ أنّك لا

تعرفين حقيقة آدم الكاملة».

تراجعت لينكا خطوة إلى الخلف. خلال لحظة واحدة، أصبحت بعيدة جدّاً.

«بلى، فهو طيّب معي».

«لماذا تساعدينني على الفرار إذاً؟».

«لأنّه يستطيع أن يكون قاسياً مع من لا يرون الحقيقة، ولا أريدك أن تتعذّبي».

ودّت لوميكي لو تستطيع الصراخ. فلينكا تتصرّف على نحو غير منطقي إطلاقاً. أحسّت بها تبتعد أكثر، بعيداً عن صوت لوميكي. فجأة، ارتفع جدار بينهما.

حاولت لوميكي مجدّداً: «لكنّ الحقيقة هي -».

«الجميع سيرون الحقيقة قريباً وستحرق أعينهم. أتمنّى لو كنتِ منّا يا أختي، لكن يبدو أنّ قلبك لم ينفتح بعد بما فيه الكفاية. هيّا، اذهبي».

اعتصرت تلك الكلمات قلب لوميكي مثل قبضة جليدية. كان بإمكانها أن تحتضن لينكا وتخبرها أنّها حقّاً في خطر، وأنّها تخاف عليها جدّاً. كان بإمكانها ذلك، غير أنّها لم تفعل. أهو الخجل، أم الخوف، أم العادة هي التي سمّرتها في مكانها، لم تعرف.

لا تلحقي بأحد. ولا تتوسّلي حبّ أحد، أو صداقته، أو ثقته.

هكذا اكتفت لوميكي بلمس يد لينكا لشكرها، قبل أن تركض باتّجاه السياج الخلفي، وتتسلّقه متجنّبة الأعمدة المسنّنة. فقط بعدما ابتعدت بحيث أصبحت العودة عملاً جنونياً، لعنت مبادئها الحمقاء. فبسبب تلك المبادئ، قد تخسر الرابط الذي يجمعها

بأختها. بسببها، قد تخسر أختها إلى الأبد.

توقّفت لالتقاط أنفاسها ثمّ أخرجت من حقيبة ظهرها ورقة رسمت عليها لينكا شجرة أسرتها المزعومة.

حان الوقت لتجري حديثاً مع الأموات، بما أنّ الحظّ لن يحالفها كثيراً مع الأحياء.

غطّت لينكا وجهها بإحدى ذراعيها، ثمّ ألقت الرمز على النافذة بكلّ قواها. تحطّم الزجاج كسراً. لا شكّ في أنّ صوت الارتطام سيصل إلى مسامع من في المنزل. بالتالي، لم يكن أمامها سوى بضع ثوانٍ لتتصرّف. لحسن حظّها، كانت قاعة الصلاة من الجهة الأخرى من المنزل، ما يعني أنّ أحداً لن يرى ما يجري في الفناء. كانت نافذة الزنزانة صغيرة والفتحة التي أحدثتها فيها أصغر، لكن ما زال من الممكن أن يبدو الأمر كما لو أنّ لوميكي استطاعت الفرار عبرها. وضعت لينكا الرمز بجانب الحبال الملقاة على الأرض، ثمّ توسّلت بصمت: «سامحني على كلّ أخطائي».

أقفلت الباب من الخارج وقلبها ينبض بجنون، وكبتت رغبتها المتواصلة بالنظر خلفها. فمن شأن ذلك أن يضيع جزءاً من وقتها الثمين. كانت يداها ترتعشان بقوّة، لكنّها استطاعت أن تقفل الباب. أسرعت بعد ذلك تجري باتّجاه الجهة الأخرى من المنزل، وهي تسمع الجلبة التي يحدثها الآخرون خلال اندفاعهم إلى الفناء.

تمنّت لينكا ألاّ يفكّر أحد منهم بتفقّد غرفتها. كانت تعرف أنّ هذا ليس من الأمور التي يفترض أن يدعو بها المرء، لكنّها لم تكترث في تلك اللحظة.

أتت أصوات حديث منفعل من الفناء. فاستجمعت كلّ قواها لتتمكّن من صعود سلّم الحريق بقدميها المرتجفتين والوصول إلى غرفتها. نظرت بحذر إلى داخل الغرفة، لكنّها لم تجد أحداً، بل كان الباب مغلقاً. هذا جيّد. والأهمّ أنّ النافذة التي تركتها مفتوحة ما زالت على حالها. تسلّلت لينكا إلى الداخل، وفي تلك اللحظة رأت خدشاً طويلاً أحمر على ظاهر يدها من أثر الزجاج المحطّم. فوضعت فمها على الجرح ولعقت الدماء. كان طعمها مثيراً للغثيان، لكن لا وقت للضعف الآن. سالت من الجرح قطرات أخرى من الدم، فدسّت لينكا يدها تحت غطاء السرير وضغطت الجرح على الغطاء السفلي.

تباطأ النزيف، ففتحت لينكا الباب، وأخذت تركض إلى الأسفل.

عليها أن تصل إلى المدفأة لتتخلّص من المفتاح الإضافي بأسرع ما يمكن قبل أن يشتبه بها آدم أو أحد آخر.

استرقت نظرة سريعة عبر غرفة المعيشة المطلّة على الفناء. كان الآخرون لا يزالون هناك. فقد فتح آدم باب الزنزانة، واستطاعت لينكا أن تفهم ممّا الأحاديث المختلطة أنّهم يحاولون أن يتخيّلوا كيف تمكّنت لوميكي من الفرار. مدّت لينكا ذراعها إلى داخل المدفأة، وتلمّست المكان حتّى عثرت على الفجوة السرّية وأعادت إليها المفتاح.

في تلك اللحظة، استدعاها آدم، فهُرعت إلى الباب الخلفي لرؤيته.

قال لها: «أختك المزعومة هربت».

«ماذا؟».

حاولت لينكا أن تحقن صوتها بالجرعة اللازمة من الإرباك، والاستنكار، والخوف. نظر آدم مباشرة إلى عينيها، فواجهت نظراته من دون أن يرفّ لها جفن. فعلت ذلك للمرّة الأولى في حياتها. عبس آدم، لكنّ لينكا حافظت على تعابيرها الصادقة والبريئة.

قال لها: «تعالي لتري بنفسك إن كنت لا تصدّقين».

عندما أدار ظهره وبدأ يمشي أمامها، دسّت يدها في جيبها، لتخفي الخدش وأصابعها المغبرّة.

وبينما هب تتبعه، دُهشت من مدى سهولة الكذب في الواقع.

* * *

أعلن الهاتف ورود رسالة، فتحقّق القاتل من الشاشة. كان قد أوشك على الوصول إلى المنزل. فوجئ برسالة من العميل يقول فيها: «أحسنت».

حملق في الشاشة مذهولاً، فهو لم ينجز المهمّة بعد. وعندما أدرك الاتّصال المهين الذي سيتعيّن عليه القيام به الآن، أطلق شتيمة، وتملّكه الغيظ لأنّ الفتاة أفلتت منه مجدّداً.

19

حملت التمثال الثقيل بيدها. كان قد خسر جزءاً كبيراً من جناحه الأيسر، وبدت عيناه كأنّه كان يذرف دموعاً سوداء كبيرة لقرون من الزمن. تمثال حارس يلوم نفسه بمرارة على عدم تمكّنه من أداء مهمّته. فقد أحاط اللبلاب بقدميه مثل السلاسل الحديدية، ولن يتمكّن أبداً من الطيران إلى الأعلى مجدّداً بأجنحته المكسورة. لقد حُكم عليه بالبقاء على الأرض إلى الأبد، يبكي دموعاً سوداء ويكفّر عن خطيئة فشله.

نظرت لوميكي إلى وضعية التمثال الحزينة واليائسة، وانتابتها أحاسيس مشابهة. فهي لم تكن أقلّ يأساً وانهزاماً. ما الذي ظنّت أنّه سيحدث؟ كانت مقبرة فينوهرادي إحدى أكبر المقابر في براغ، بحيث أنّ العثور على إبرة في كومة قشّ هو أشبه بلعبة أطفال مقارنة بما أتت من أجله.

كانت لينكا قد ذكرت أمام لوميكي أنّ جدّيها مدفونان في هذه المقبرة، إلاّ أنّها لم تزر قبريهما أبداً. فبحسب آدم، لا ينبغي التركيز على الأموات بل على الأحياء. وهذا ما دفع لوميكي إلى الاعتقاد أنّ زعيم المجموعة لا يريد أن يقوم أحد بالنبش في ماضي أجدادهم كثيراً. لهذا السبب، قرّرت لوميكي المجيء إلى هنا على أمل أن تبوح لها القبور بما لا تعرفه.

إن عثرت على ثغرة في قصّة آدم، قد تتمكّن من إقناع لينكا بعدم البقاء في المجموعة. إن أثبتت لها أنّ آدم كذب كذبة واحدة، قد تكفّ عن الاعتقاد بحقائقه المزعومة الأخرى. صحيح أنّ أمراً كهذا سيستغرق منها وقتاً، لكنّها لم تجد حلاً آخر حالياً.

عليها أن تحرّر أختها من نفوذ العائلة البيضاء وآدم هافيل.

كانت لوميكي قد مشت طوال الطريق المؤدّي إلى المقبرة من محطّة المترو الرئيسة في وسط البلد، وأدركت في تلك اللحظة أنّها أخطأت. فقد حرصت هذه المرّة على انتعال حذاء رياضي في الصباح، لكنّها شعرت الآن أنّه كان يجدر بها انتعال صندل. إذ بدأت قدماها تتعرّقان، وأرهقتها سخونة عقبيها وأصابع قدميها. أمّا زجاجة المياه، فأفرغتها منذ نصف ساعة، وكانت واثقة أنّ التعرّق أفقد جسدها من السوائل أكثر ممّا شربت خلال رحلتها. قريباً، سيبدأ ألم رأسها.

ما زادها انزعاجاً هو اكتشافها أنّ إيجاد قبر جدّي لينكا هو مهمة مستحيلة. فبالإضافة إلى مساحة المقبرة الهائلة، وعدم قدرتها على تمييز ترتيب معيّن للقبور حتّى في وضح نهار مشمس وساطع، بدا المكان أقرب إلى فانتازيا قوطية كئيبة. فقد ارتفعت الأشجار العتيقة في السماء، مكوّنة ظلالاً غريبة على شواهد القبور. كما نهشت أنياب الزمن الأحجار، والصلبان، والتماثيل، وأجزاء من الجدران. هكذا انهارت أجزاء منها، وبدت بعض التماثيل كأنّها تنتمي إلى فن الغروتسك، بعد أن خسرت يداً، أو اثنتين، أو حتّى رأساً. وكانت النقوش على الحجران بالية وتصعب قراءتها، في حين غطّى اللبلاب الأرض، وجذوع الأشجار، وشواهد القبور

ببساط أخضر سميك وداكن.

وجدت لوميكي عدداً من القبور التي تنتمي إلى أسر فرانز، وماريا، وحتّى هافيل، كما وجدت عدّة قبور لفرانز هافيل وماريا هافلوفا. لكنّ التواريخ لم تكن مطابقة. فالأشخاص الذين عاشوا في القرن الثامن عشر، لا يفيدونها بشيء الآن. بدأ صداع العطش يزحف من مؤخّر رأسها إلى صدغيها، وقريباً سيبلغ جبهتها ويهدّد بالتحوّل إلى صداع شقيقة كامل. كانت معدتها ما زالت ترفض عشاء يوم الأحد الذي تناولته مع «أسرة» لينكا، مع أنّها قامت بغسل فمها للتخلّص من طعم الخرقة المليئة بالغبار. ولم تكن ترغب في التقيّؤ في مقبرة. فصحيح أنّ الأموات لن يأبهوا، لكنّه سيشكّل قلّة احترام للأحياء الذين يزورون مرقد أحبّائهم.

جلست على مقعد في ظلّ الأشجار، ثمّ أخذت عدّة أنفاس عميقة ومتساوية. بقاءها هنا ومتابعة هذا البحث هو مضيعة للوقت. عليها أن تذهب إلى أقرب متجر، لشراء شراب بارد، ثمّ تسأل جيري لاحقاً ما إذا كان يملك أيّ معلومات عن جدّي لينكا. فقد قام أساساً بتفقّد سجلاّت دار العبادة.

كان المجيء إلى المقبرة عملاً غير مجدٍ. لذلك قرّرت أخذ عبرة من هذا الدرس. لا تضعي خططاً متسرّعة، بل ادرسي خطواتك أوّلاً.

في تلك اللحظة، رنّ هاتفها. كان والدها هو المتّصل. فضّلت لوميكي عدم الردّ في تلك اللحظة، لكنّ ذلك لن يكون عملاً حكيماً. فإن لم تفعل، سيبدأ والداها بالقلق عليها بلا سبب.

سألها والدها: «تكلّمتِ مع كايزا اليوم، ويبدو أنّك انشغلت

فجأة. هل اتّصلت للتحدّث معي؟».

أجابته لوميكي: «أجل... أردت أن أسألك كيف وجدتَ براغ؟».

t.me/ktabpdf مكتبة

للحظة، تركت نظرها يستقرّ على الشاهد المقابل لها، والذي كان مغطّى بأكمله تقريباً باللبلاب. لم تندم تماماً على هذه الرحلة غير المثمرة إلى المقبرة. فالمزاج الذي يسود المكان لا يصدّق، كأنّها في كابوس أو حلم. وهذا بحدّ ذاته يستحقّ العناء.

سألها والدها بإلحاح، وبصوت عدائي تقريباً: «كيف عرفت أنّني ذهبت إلى براغ؟».

فكّرت لوميكي للحظة. لم تكن ترغب في إخبار والدها كلّ شيء دفعة واحدة، ليس بعد.

«معرفة مشتركة، شخص من الماضي ما زال يذكرك».

«أستغرب أن يتذكّرني أحد بعد كلّ هذه الأعوام -».

لم تدعه لوميكي يتابع تساؤلاته، قبل أن تطرح عليه السؤال الذي يشغلها: «لماذا لم تخبرني أنّك أتيت إلى هنا؟».

ساد صمت عميق وطويل على الطرف الآخر من الخطّ بحيث بدأت لوميكي تتساءل ما إذا كان الاتّصال قد قُطع.

أخيراً، أجاب والدها بصوت مختنق: «في الحقيقة، في ذلك الوقت كنت في مكان سيّئ جدّاً بحيث أفضّل عدم التفكير في الأمر. كما أنّني لا أذكر الكثير حقّاً».

ودّت لوميكي أن تصرخ عبر الهاتف، لا تذكر حتّى إنّك أنجبت ابنتك الكبرى؟

«لذلك... لم أخبرك. ما من شيء يستحقّ الذكر».

حدّقت لوميكي بغيظ في الفراغ أمامها. لا شيء يستحقّ الذكر إذاً. أختي الوحيدة لا تستحقّ الذكر. لا شيء مهمّ.

قالت: «حسناً، لهذا السبب اتّصلت، هذا كلّ شيء».

«هل أنت على ما يرام هناك؟ هل تملكين ما فيه الكفاية من المال؟ هل الفندق جيّد؟».

استعاد والدها صوته الأبوي، والقلق، والبعيد بعض الشيء.

«أجل، كلّ شيء على ما يرام. سأعود خلال بضعة أيّام».

أضافت في نفسها، ربّما برفقة أخت. عندئذٍ، سيتعيّن على والدها إعادة التفكير في الأمور التي تقع في خانة «لا تستحقّ الذكر».

غالباً ما فكّرت لوميكي أنّ أسرتها تمثّل أدواراً. أمّها تؤدّي دور الأمّ، وأبوها يؤدّي دور الأب، ولوميكي تؤدّي دور الابنة. الكلّ يتصرّف كما لو أنّهم على مسرح، أو كما لو كانوا دائماً أمام الكاميرا. ظنّت في البداية أنّ كلّ الأسر هكذا، لكن في وقت ما حوالى سنّ العاشرة تقريباً، بدأت تراقب الأسر الأخرى وما يفعلونه في المتاجر أو في الحديقة العامّة، أو في الاجتماعات العائلية الكبيرة. كانوا يتصرّفون على نحو مختلف عن أسرتها، يتشاجرون ويضحكون. كانوا حاضرين، وحقيقيين. أمّا في أسرة لوميكي، فلا يعبّرون عمّا يفكّرون فيه، بل يقولون ما يُفترض بهم قوله خشية الخروج عن النصّ.

هذا ما جعل الجوّ السائد في المنزل غريباً، وقمَع أيّ حديث حقيقي. نظرياً، كان والدها رجل الأعمال وأمّها الأخصّائية في المعلومات المكتبية يؤدّيان أدوارهما على نحو ممتاز. لكن بدا

دائماً أنّهما يتحدّثان بكلام كتبه شخص آخر. لم يكونا كاملَين وحيّين فعلاً، بل شبحين. ولم تعرف لوميكي أبداً كيف ستتمكّن من الوصول إلى حقيقتهما المختبئة خلف ظلّهما.

من خلال الأوراق المثلّثة الخضراء، لمحت لوميكي على الشاهد المقابل لمقعدها اسماً يبدأ بالحرف «ف». عندئذٍ قرّرت التحقّق من هذا القبر الأخير، هذا فقط.

وقفت، ثمّ اقتربت من الشاهد، وبدأت بإبعاد الأوراق العنيدة عن أحرف الاسم «فرانز». فرانز هافيل، واسم آخر، «ماريا هافلوفا». راح قلب لوميكي يطرق بعنف، إذ وجدت التواريخ متطابقة.

قال والدها: «حسناً، اتّصلي بي إن احتجت شيئاً».

«حسناً، سأفعل. مع السلامة!».

عرفت لوميكي أنّها أنهت الاتّصال مثل مراهقة مشاكسة، لكنّها أرادت التركيز على الشاهد أمامها. كان ثمّة اسم ثالث، وقد ارتجفت يدا لوميكي وهي تبعد النباتات.

«كلاوس هافيل. ولد عام 1940. توفّي عام 1952».

حدّقت لوميكي إلى الأرقام قبل أن يوافق دماغها الذي أرهقه الصداع على إخبارها بالأمر الغريب بشأن السنوات.

توفّي كلاوس هافيل وهو في الثانية عشرة من عمره، ومن غير المحتمل إطلاقاً أن يكون والد آدم هافيل. لم يكن هذا غير محتمل فحسب، بل بعيد الاحتمال إلى حدّ أنّ لوميكي كانت على استعداد للمراهنة بأيّ شيء تملكه على أنّ آدم كذب على لينكا. أخرجت لوميكي هاتفها والتقطت صورة للشاهد. ستريها للينكا، وربّما تصدّق عندئذٍ أنّ «العائلة»، وتحديداً «الأب»، ليسوا أبرياء

بقدر ما كانت تظنّ.

بينما كانت لوميكي تعيد هاتفها إلى جيبها، التقط أنفها رائحة هـدّدت بحفـز الصداع الذي تخشـاه. كانت رائحة حادّة من العرق الممـزوج بعطـر مـا بعد الحلاقة. الرائحة نفسـها التي اشـتمّتها في الليلة الفائتة.

لـم تضـع أيّ لحظـة من وقتهـا الثمين بالنظر إلى الخلف، بل انطلقت تركض، وسرعان ما سمعت وقع أقدام مسرعة خلفها.

راح حذاؤها يسحق الحصى الذي يكسو طريق المقبرة، بينما اندفعت تركض ومُطاردها في أعقابها.

ناشدت في عقلها التماثيل الحارسة التي راقبت هربها بأعين فارغـة أن تحميهـا قائلـة، احرسـيني علـى الأقلّ. افتحـي أجنحتك وأطلقي عاصفة لإخضاع أعدائي.

غير أنّ الهواء الحارّ بقي على حاله.

كان المطارد سريعاً. فقد كان على الأرجح أكثر ارتياحاً وأقلّ عطشـاً من لوميكي، التي لم تحصل سـوى على بضع سـاعات من النوم، هذا من دون ذكر رحلتها الشـاقّة إلى المقبرة. راح جسـدها يتصبّب عرقاً مع أنّها كانت تظنّ أنّ سوائل جسمها جفّت تماماً.

اندفعـت لوميكـي مـن خـلال بوّابـة المقبرة. كان في الشـارع محطّة للمترو. فاتّخذت قرارها بسرعة، وهُرعت نحوها، ثمّ نزلت السلالم. لم يكن نزولها تحت الأرض وهي مطاردة من قاتل خطّة حكيمة، لكنّها قدّرت وجود حرّاس هناك، الأمر الذي سيمنع القاتل على الأرجح من الاعتداء عليها في محطّة مزدحمة بالناس. غير أنّ وقع الخطوات الثقيلة على السـلالم أكّد لها أنّ القاتل لم يستسـلم

بعد.

كان القطار على وشك التوقّف عند المحطّة، وكانت لوميكي أوّل من اندفع إلى الداخل. اضطرّ مطاردها إلى اجتياز مخرج الركّاب، لكنّ هذا الأمر لم يبطئ من سرعته كثيراً. تابعت لوميكي فرارها داخل قطار المترو، وانتقلت إلى المقصورة التالية. التفتت إلى الخلف لترى الرجل يدفع الناس جانباً ويستأنف لحاقه بها.

في تلك اللحظة، وصل قطار إلى المحطّة ذاهب في الاتّجاه المعاكس. فُتحت أبوابه، وانتقلت موجة من الركّاب منه إلى القطار الذي كانت فيه لوميكي والرجل. أصبح يفصل بينهما عشرات الركّاب، ورأته لوميكي وهو يدفعهم للمرور غاضباً. من الواضح أنّه لم يأبه لوجود كلّ أولئك الناس. وبدا من ملامحه أنّه على استعداد لقتل لوميكي بيديه، أمام أعين كلّ الركّاب.

حاولت لوميكي الحفاظ على هدوئها قدر الإمكان. عدّت الثواني، فقد كان عليها القيام بخطوتها التالية عند اللحظة الأخيرة.

اقترب الرجل، وأُغلقت الأبواب، لكنّ أبواب القطار المتوقّف على السكّة المقابلة كانت لا تزال مفتوحة. عندما رأت لوميكي أنّ أبوابه بدأت تغلق، ضغطت بسرعة على زرّ فتح الباب واندفعت خارجة. انطلقت تعدو عبر المحطّة، ثمّ أنزلت حقيبتها عن ظهرها وحملتها أمامها، لتستدير جانباً وتنزلق عبر الشقّ قبل انغلاق الباب تماماً.

انطلق القطار الأوّل، وكذلك فعل الثاني. ألقت لوميكي نظرة أخيرة على الرجل الذي كان يطاردها، لترى وجهاً أحمر وقبضتين تطرقان بغضب على النافذة، لكن بلا جدوى. فقد اندفع القطار في

الاتّجاه المعاكس، وكذلك فعلت لوميكي.

انهارت على أحد المقاعد، ثمّ مسحت العرق عن حاجبها بيد مرتعشة. جلس إلى جانبها صبيّ في العاشرة من عمره تقريباً وراح يحدّق إليها بإعجاب واضح. كان يحمل بيده عبوة فانتا، قدّمها إليها، رافعاً حاجبيه. فهمت لوميكي أنّه يقدّمها إليها، وكانت على وشك أن ترفض، إلاّ أنّها غيّرت رأيها.

لم يسبق للصودا البرتقالية الفاترة عديمة النكهة أن بدت بهذه اللذة من قبل.

20

«هل قرّرت المشاركة في ماراتون في هذا الحرّ أم ماذا؟ تبدين منهكة».

فكّرت لوميكي كيف أنّها في يوم واحد اكتشفت أنّها تملك أختاً، وقامت مجموعة بسجنها، ثمّ تركت أختها تحت رحمة أعضاء المجموعة وتجوّلت في مقبرة، لتكتشف أنّ آدم كاذب ثمّ تفرّ من رجل من الواضح أنّه أرسل لقتلها، مجدّداً. لم يكن للمزاح مكان هنا.

عندما بقيت ملامح لوميكي جامدة، مسح جيري الابتسامة عن وجهه بسرعة.

سألها بقلق: «ماذا جرى؟».

أجابته: «لندخل أوّلاً، ثمّ أخبرك».

كانا قد اتّفقا على اللقاء في شقّة جيري عند الساعة الخامسة. وصلت لوميكي قبل الوقت المحدّد بخمس دقائق، وعندما لم يفتح أحد الباب، انتظرت في الخارج وهي تنظر حولها باستمرار.

قبل ذلك، تجوّلت في المدينة عبر عدّة وسائل نقل إلى أن أصبحت واثقة تماماً أنّها ضلّلت القاتل. ثمّ ذهبت إلى متجر، وابتاعت ليتراً ونصف من الماء، وشربت العبوة بأكملها. عندئذٍ تبدّد صداعها، واختفى طعم الخرقة أخيراً.

أصبحت بحاجة الآن إلى الاستحمام وتبديل ملابسها. أرادت أن تغسل بشرتها من كلّ ما واجهته خلال ذلك النهار، حتّى لو لم تستطع غسله من ذهنها.

فتح جيري الباب بسرعة، ثمّ صعدا السلّم بصمت. لم تشأ لوميكي إخباره بما مرّت به وهما على سلّم يصدر الصدى، كما أنّ جيري لم يضغط عليها، فقد أدرك خطورة المسألة. عندما وصلا إلى طابق جيري، كانت لوميكي أوّل من لاحظ. سألته: «هل يمكن أن تكون قد تركتَ الباب مفتوحاً عندما غادرتَ هذا الصباح؟».

اقترب جيري من الباب المفتوح.

«بالطبع لا».

كانت الشقّة غارقة في الفوضى. فالأثاث مقلوب رأساً على عقب، ومحتويات الخزائن منثورة على الأرض، والأدراج مفتوحة، والكتب مرميّة عن الأرفّ بحيث تناثرت الأغلفة والأوراق على أكوام الأثاث. غير أنّ شاشة التلفاز الحديثة ما زالت في مكانها، وكذلك كمبيوتر جيري، والكاميرا المتطوّرة. بعبارة أخرى، لم يكن هذا هو عمل لصوص، لأنّهم وإلاّ لأخذوا هذه الأغراض الثمينة حتماً.

أطلق جيري سلسلة من الشتائم بالتشيكية.

سألته لوميكي وهي تبدأ بجمع أغراضها: «هل من شيء مفقود؟».

لم تكن قد تركت في الشقّة سوى ملابسها وحقيبة أدوات الزينة. وحملت معها طوال اليوم رواية جو نيسبو ومحفظتها التي كانت تحتوي على جواز السفر. كان حمل الرواية معها عبثاً، لأنّ

اللحظات الهادئة والمناسبة للجلوس والقراءة قليلة ونادرة في هذه الرحلة. تناثرت ملابس لوميكي في كلّ مكان، لكنّ أكثر ما أثار استغرابها هو ملابسها الداخلية الممزّقة. هل اعتقد الدخلاء أنّها تخفي أسرار دولة فيها؟

أجابها جيري بصوت منزعج: «لا يمكن أن أعرف ما إذا كان ثمّة شيء مفقود وسط هذه الفوضى العارمة. ربّما كانوا يبحثون عن شيء محدّد، لكن لا أدري ما هو».

فتح كيساً متيناً على الأرض، وراح يلقي فيه الملابس، والكتب، والأوراق جزافاً.

قال لها وهو يرى إمارات الاستغراب على وجهها: «لم يعد هذا المكان آمناً. فمن اقتحمه قد يعود مجدّداً في أيّ وقت».

سألته لوميكي: «وإلى أين نذهب؟» كانت قد حزمت مقتنياتها القليلة أساساً.

«إلى مكان فيه حرّاس ليلاً».

اختبأت لوميكي خلف شجرة وانتظرت. كانت تقف هناك منذ ساعتين، لكنّها مستعدّة للانتظار أكثر إن استلزم الأمر. أخذت جرعة ماء من زجاجتها. لحسن الحظّ أنّها تقف في الظلّ. في الواقع، عندما هربت لوميكي من هذا المنزل في وقت سابق من ذلك اليوم، لم تكن تحلم أنّها ستعود إليه.

بدا السور الحديدي الأسود أشبه بقضبان سجن. سجن. هل هذه المجموعة هي سجن بالنسبة إلى لينكا؟ لم تكن لوميكي واثقة، لكن هذا ما يبدو. فلينكا ليست حرّة في الذهاب إلى حيث

تشاء ومتى يحلو لها ذلك. لم تكن قادرة على فعل ما تريد. وإن كان قد تمّ خداعها للانضمام إلى العائلة البيضاء من خلال نسب زائف، لا بدّ أنّ هذا السجن هو أكثر كآبة بكثير.

كانت قد أخبرت جيري عمّا اكتشفته في المقبرة وهما ذاهبَين باتّجاه مبنى سوبر8، حيث قرّر جيري أن يمضيا الليلتين التاليتين.

قال جيري: «بحسب معلوماتي، ولد آدم هافيل عام 1950. ولا يمكن أن يكون كلاوس هافيل أباه إن لم يتجاوز العاشرة في ذلك الوقت. وهذا هو بالضبط نوع التناقض الذي تحفل به شجرة عائلتهم. لكنّ المعلومة الأهمّ هي أنّ آدم زعيمهم. فقد حاولت إيجاد معلومات عن الشخص المسؤول من كلّ من أجريت مقابلات معهم، لكن حتّى الآن لم يجرؤ أحد على كشف اسمه. كنت أعرف أنّ آدم هافيل من الأعضاء، لكنّني لم أكن أعرف منصبه. وعليّ الآن إلقاء نظرة عن كثب على ماضيه».

«وأنا عليّ إيصال رسالة إلى لينكا».

«يبدو أنّك تكترثين لأمرها كثيراً».

اكتفت لوميكي بهزّ رأسها. صحيح أنّها تكترث لأمر لينكا. فقد أصبح لديها أخت الآن، ولا تنوي التخلّي عنها.

لهذا السبب، تركت جيري ينبش ماضي آدم هافيل في مقرّ القناة، وعادت إلى هذا المنزل الرهيب، عازمة على انتظار لينكا حتّى تخرج إلى الفناء.

حتّى الآن، لم تخرج من المنزل سوى المرأة الخمسينية لتروي الورود البيضاء بدلو صدئ. عندما تراجعت لوميكي لتختبئ أكثر بين الظلال، رفعت المرأة رأسها وبدا أنّها تصغي، قبل أن

تعود لتستأنف عملها.

بـدأت لوميكـي تشـعر بخـدر فـي قدميهـا من كثـرة الوقوف. فأخذت تنقل وزنها من ساق إلى ساق وتمدّدهما بحذر. لا بدّ من أن تخرج لينكا في وقت ما. على الأقلّ، أملت لوميكي ذلك بشدّة.

أخيـراً فُتـح البـاب الخلفـي، ورأت لوميكـي تـاج الضفائـر المألوف؛ لينكا. بدت حزينة، لا بل محبطة تماماً. أطلقت لوميكي صفرة خافتة، فنظرت لينكا باتّجاهها ورأتها. رفعت لوميكي بسرعة إصبعهـا إلـى شـفتيها، إذ لا يمكنهمـا المجازفـة بلفـت انتبـاه بقيّـة المقيميـن فـي المنـزل إلى وجودها. نظرت لينـكا حولها بتردّد، ثمّ اقتربت من السور الحديدي. أومأت برأسها بخفّة نحو المنزل، ثمّ حرّكته يميناً ويساراً بحركة شبه ملحوظة. ففهمت لوميكي من ذلك أنّ لينكا لا تستطيع الخروج من الفناء.

لحسن الحظّ، كانت لوميكي مستعدّة. فأخرجت قطعة ورق، كانت قد كتبت عليها رسالة، ورفعتها أمام لينكا، ثمّ جعّدتها وألقتها من فوق السياج. حطّت الورقة على بعد بضع أقدام من لينكا.

عندئـذٍ، فُتـح البـاب الخلفي وخرج منه شـابّ. فخطت لينكا بسرعة خطوة جانبية وداست على الورقة بقدمها من دون أن تنظر إلى الأسـفل. صاح الشـابّ بشـيء، وأجابته لينكا. أصبحت نبرته ملحّـة، غيـر أنّ لينـكا اكتفت بهزّ كتفيها. فتنهّد الرجل، وقام بتعليق أخير حادّ اللهجة، قبل أن يدخل مجدّداً. انحنت لينكا بسرعة لأخذ الورقة ثمّ خبّأتها في جيبها. وقبل أن تدخل، ألقت نظرة أخيرة على لوميكي.

تنفّست لوميكي الصعداء. فقد كانت تمسك أنفاسها ترقّباً من

دون أن تلاحظ.

كتبت في الرسالة أنّها تريد مقابلة لينكا في اليوم التالي عند الساعة الثانية عشرة في المكان نفسه الذي تحدّثتا فيه أوّل مرّة. كانت تثق أنّ لينكا ستجد طريقة للخروج بحلول ذلك الوقت.

كانت قدما لوميكي ثقيلتين بشكل غريب عندما انطلقت عائدة إلى وسط المدينة. تصبّب العرق من ظهرها. وعندما لعقت شفتيها، وجدت طعم الملح قوياً ولاسعاً.

* * *

أشرف ذلك اليوم الصيفي الطويل على نهايته وبدأت زرقة السماء تتّشح بالسواد. انعكست أضواء المدينة على النوافذ الزجاجية الكبيرة لمبنى سوبر8. من الطابق التاسع، استطاعت لوميكي رؤية المدينة بأكملها، وصولاً إلى القلعة بإضاءتها الجميلة التي تتزيّن بها كلّ ليلة. جاهدت لتبقي عينيها مفتوحتين، لكنّها خشيت أن تستغرق في النوم وهي جالسة من شدّة التعب.

كان جيري قد جهّز فراشين للتخييم في إحدى زوايا المكتب، حتّى إنّه عثر على أكياس نوم.

قال مبتسماً: «لحسن الحظّ، تملك الشركة قسماً لتسلّق الجبال».

ومن الواضح أنّها لم تكن مزحة.

توهّج كمبيوتر جيري بضوء أزرق. كان قد جلس أمامه من دون أن يتحرّك منذ ثلاث ساعات. وقبل ذلك، قام مرّة واحدة لاستلام الوجبة الجاهزة التي طلبها من المطعم الصيني. كان قد كلّف لوميكي بمراجعة سجلّات العائلة الحافلة بملاحظات،

وعلامات استفهام، وأسهم كتبها جيري. إلاّ أنّها لم تعثر على أيّ أسرار جديدة مزلزلة.

هكـذا قـرّرت أن تغمض عينيها لثانية واحدة، فقط لتريحهما. فقد كان يومها طويلاً جدّاً. وإن أغمضت عينيها لثانية أو ثانيتين...

اسـتيقظت لوميكـي عندما ارتطـم جبيها بكومة الأوراق، فنظر إليها جيري.

«عليك الذهاب إلى النوم، فقد كان نهارك شاقّاً».

أجابته: «أنا بخير»، وراحت تتثاءب.

«أو تناولي بعض التوفو الحارّ، سيساعد على إيقاظك».

ثمّ دفع أمامها علبة الوجبة الجاهزة.

«توفو بارد؟ شكراً على العرض، لكن أظنّ أنّني سأستغني عن هذه التجربة. أضف إلى أنّني ما زلت أشعر بالتخمة. فقد طلبتَ ما يكفي من الطعام لثلاثة أشخاص».

«أنت حرّة، لكن بعد ذلك لا - بينغو!».

هتـف جيـري بالكلمـة الأخيـرة بصـوت عـالٍ بحيـث قفزت لوميكي من مقعدها.

«تعالي وانظري!».

دارت لوميكي حول المكتب، ثمّ اقتربت لإلقاء نظرة على شاشة الكمبيوتـر التـي ظهـر عليها رجل في العقد الثالـث من عمره تقريباً، يرتدي بدلة كتّانية بيضاء. كان شـعره الطويل مشـدوداً إلى الوراء في ذيـل حصان. عرفـت لوميكي العينين الرماديتين الثاقبتين والحواجب الكثيفة الشبيهة بالبومة، مع أنّه كان أصغر سنّاً بكثير في الصورة.

قالت: «آدم هافيل».

شرح جيري بحماسة: «بل آدم سميث. الياس آدم هافيل. ترجع هذه الصورة إلى عام 1980، لكن حتّى أنا عرفته، مع أنّني سمعت عن مواصفاته وحسب».

قرأت لوميكي الشرح: «نيبراسكا».

«بالضبط. فقد كان ثمّة مجموعة هناك تدعى الأخوية البيضاء. وكان أعضاؤها رجالاً وحسب ويدّعون أنّهم على صلة بيسوع. كان زعيم المجموعة هو آدم سميث لكنّه اختفى، كما اتّضح، ليظهر لاحقاً في براغ مستخدماً المفهوم نفسه أساساً. لكنّه قرّر هذه المرّة إدخال نساء في المجموعة».

سألته لوميكي: «ولماذا اختفى؟».

«أقنع أعضاء المجموعة بنقل كلّ ممتلكاتهم إلى اسمه، على أن يتبرّع بها للجمعيات الخيرية. وهكذا يكونون أنقياء قدر الإمكان عند وفاتهم».

نظر جيري إلى لوميكي بتجهّم.

«كانوا ينوون الانتحار جماعياً، بمن فيهم آدم سميث. لكنّ شخصاً ما أبلغ الشرطة، التي تمكّنت من إنقاذ معظمهم. عثروا عليهم ممدّدين في حجرة، وغائبين عن الوعي نتيجة التسمّم بأوّل أكسيد الكربون. أمّا آدم سميث، فرحل آخذاً معه المال بالطبع».

فجأة، تبدّد نعاس لوميكي.

قالت ببطء: «العائلة البيضاء لا تخطّط لتنفيذ هجوم على أحد».

هزّ جيري رأسه نافياً.

لم يستطع أيّ منهما قول ذلك بصوت عالٍ. لكنّ الكلمات ظلّت عالقة في الهواء، بادرة كالثلج. انتحار جماعي.

الاثنين، 20 يونيو

21

تحقّقت لوميكي من هاتفها. كانت الساعة 11:45 صباحاً. ما زال بإمكانها الوصول إلى مكان اللقاء في الوقت المحدّد إن أسرعت.

كانت قد اتّفقت مع جيري على أن تذهب للقاء لينكا وتحاول إقناعها بترك المجموعة فوراً. كان من المهمّ أن تعرف أيضاً ما إذا كان تاريخ الانتحار قد حُدّد أساساً. أمّا جيري فكان لديه اجتماع في الوقت نفسه مع رئيسته في سوبر 8 التي كلّفته بالتحرّي عن المجموعة في الأساس.

فهمت لوميكي متأخّرة ماذا جرى عندما سحبتها يدان قويتان من الشارع إلى داخل سيّارة، ودفعتا بها على المقعد الخلفي، قبل أن يضغط أحدهم بفوهة مسدّس باردة على عنقها.

همس الرجل في أذنها: «إن قمت بأيّ محاولة، أو صدر عنك أيّ صوت، ستصبحين في عداد الأموات».

لم يسبق للوميكي أن كانت على هذه المقربة من مطاردها، وتفضّل لو أنّه ظلّ بعيداً. رأته يبحث في يده الأخرى عن بكرة الشريط اللاصق. فعرفت أنّه سيستخدمها ليكمّم فمها ويقيّد يديها وقدميها، قبل أن يقود السيّارة بعيداً عن أعين الناس وينفّذ مهمّته.

لم تشأ أن تعرف ماهيّة تلك المهمّة. إلاّ أنّها كانت تغلي

غضباً. فها قد تورّطت مرّة أخرى في مسألة لا دخل لها بها لا من قريب ولا من بعيد، ومن دون موافقتها حتّى.

لم يكن لديها وقت لتضيعه، عليها أن تتصرّف حالاً. كان استغلال عنصر المفاجأة ممكناً للحظة وجيزة وحسب.

أخذت لوميكي تهزّ رأسها لتخبره أنّها فهمت. إلاّ أنّها واصلت تحريك رأسها وبسرعة البرق، لكمت أنف الرجل بجبينها. فارتخت قبضته، بسبب المفاجأة أكثر منها بسبب الألم، وراحت الدماء تسيل من أنفه على قميصها الأبيض.

انتزعت لوميكي نفسها من بين يديه، ثمّ فتحت باب السيّارة، ورمت نفسها في الشارع. أخذت تركض إلى الأمام، ولم تدرك أنّها اقتربت من جسر تشارلز الذي يجذب سيّاح براغ كالمغناطيس إلاّ عندما أصبحت الحشود أكثر كثافة. على مقربة من الجسر، ازداد المكان ازدحاماً. فقد وقف الناس في أماكنهم، ينظرون إلى الأعلى، بينما حاولت لوميكي يائسة المرور بينهم. ماذا ينتظرون بوقوفهم هناك؟

نظرت إلى الأعلى، وفهمت. كان ثمّة عازف بوق يقف على شرفة مبنى مجاور، ليعلن حلول الساعة الثانية عشرة. بدا مدخل الجسر مزدحماً بالناس على نحو محبط. نظرت لوميكي إلى الخلف، وتساءلت ما إذا كانت استطاعت تضليل مطاردها، غير أنّها لم تر له أثراً. فحاولت التغلغل للاختباء أكثر بين الناس وقلبها ينبض بعنف.

فجأة سمعت صوتاً خلفها. فنظرت إلى الخلف، ولمحت الرجل على مسافة منها، لكنّه ليس بعيداً جدّاً. رآها هو الآخر،

ودفع عدداً من السيّدات المسنّات من طريقه، فبدأن يكلن له الشتائم بالفرنسية.

تسارعت أفكار لوميكي. هل يجدر بها الفرار على الجسر المزدحم، أم متابعة سيرها على طول الضفّة نفسها للنهر؟ فالتقدّم على الجسر قد يكون مستحيلاً. من جهة أخرى، يواجه مطاردها المشكلة نفسها، وربّما لن يتجرّأ على مهاجمتها أو إطلاق النار عليها فوق جسر مزدحم. فالمكان حافل بالشهود.

أخيراً اتّخذت قرارها. فانحنت للمرور تحت ذراع سائح ياباني عندما رفعها لالتقاط صورة لعازف البوق. وبعد ثوانٍ، سمعت من دون أن ترى القاتل وهو يصطدم بالسائح، ليطير الهاتف من يده ويسقط على الأرض. ومن احتجاجات الرجل الياباني الغاضب، يبدو أنّ الهاتف لقي حتفه.

ارتفعت تماثيل الصالحين الثلاثين على جانبي الجسر. سانت جون نيبوموك، وسانت فيتوس، وسانت لوثغارد، ويوحنّا المعمدان، وسانت فينسيسلاس، وسانت سيغموند، وسانت جود ثاديوس، وفرانسيس الأسيزي. تعاقبت الأسماء المذكورة في دليل السفر في ذهنها على وقع خطواتها المسرعة فوق الجسر. الجسر الحجري، ذاك كان اسمه الأصلي. لا شكّ أنّ مخيّلة الشخص الذي اختار اسم الجسر كانت جامحة.

سال العرق المالح واللاسع في عينيّ لوميكي، فمسحتهما بظاهر يدها. لن تتمكّن من اجتياز الجسر مغمضة العينين. فتفادي السيّاح، والباعة، وموسيقيّي الشارع كان صعباً بما فيه الكفاية أساساً. احتكّ الصندل بقدميها وآلمها. فهو لم يكن حذاء رياضياً،

مثلما أنّ قميصها القطني المبتلّ بالعرق ليس مناسباً للجري. كذلك، لا يعدّ الطقس الخانق مناسباً لهذا النوع من النشاطات. إلاّ أنّ لوميكي لا تستطيع تغيير الظروف الآن، بل عليها مواصلة الجري للإفلات من القاتل.

كان الرجل يواكبها، ولا يبعد عنها سوى بضعة أمتار.

قد بدأت تلك المطاردة بجذب الانتباه. اعتقد بعض السيّاح أنّه أداء من نوع ما، وراحوا يهتفون مشجّعين للوميكي، في حين هلّل آخرون للرجل.

تبعثرت مجموعة من خمسة أشخاص كانت تؤدّي مشهد أوبرا عندما مرّت لوميكي بينهم. ثمّ سمعتهم ينتقلون مباشرة إلى مقطوعة أخفّ لفرقة البيتلز بعنوان «ران فور يور لايف».

شكراً، أنا أركض فعلاً للنجاة بحياتي. خطرت هذه الفكرة في بال لوميكي قبل أن تصطدم بامرأة ألمانية بدينة خطت جانباً في اللحظة الخاطئة.

هتفت المرأة بالألمانية: «ربّاه!».

بينما استخرجت لوميكي كلمة اعتذار بصعوبة من مفرداتها الألمانية، وتابعت الركض.

لحسن الحظّ، أبطأت الألمانية أيضاً من سرعة الرجل، الذي دفعها جانباً من دون أن يعتذر منها بأيّ لغة كانت.

بينما كانت لوميكي تكافح للفرار، وتشعر بالعرق وهو يسيل على ساقيها، لاحظت أنّها لم تعد تستطيع التسلّل بين حشود الناس مثلما فعلت في البداية.

كان يتمّ تصوير عروس يابانية في وسط الجسر. لم تعرف

لوميكي ما إذا كان التصوير حقيقياً أم عبارة عن إخراج سينمائي. كانت العروس ترتدي ثوب زفاف ذا ذيل طويل على نحو غير عملي إطلاقاً، بحيث اضطرت لوميكي إلى القفز فوقه في اللحظة الأخيرة. لكن بعد ثانيتين، سمعت صوت تمزّق الساتان وأدركت أنّ مطاردها لم يكن رشيقاً مثلها.

هكذا استطاعت أن تبتعد عنه بعض الشيء.

تمثّل الحاجز التالي بمجموعة أميركيين متحلّقين حول دليل سياحي. نظرت لوميكي إلى الجدار البشري برعب، ثمّ رأت فسحة ضيّقة استطاعت الانزلاق عبرها.

«كما ترون، لدينا هنا تمثال - فتاة تجري - أعني -».

لم تنتظر لوميكي سماع الجملة الأساسية للدليل. غير أنّ القاتل اقتحم جدار الأميركيين كالثور الهائج وقلّص المسافة التي تفصله عنها بحيث انعدمت تقريباً. أوشكت الحرارة أن تعطّل تفكيرها، وأصبح فمها جافّاً كالصخر. أحسّت كأنّ دهر مضى عليها من دون أن تشرب قطرة ماء.

شعرت لوميكي بخدر في ساقيها، بينما ارتطم مرفقها بفنّان كاريكاتور يرسم أنف رجل بلحية سوداء. حسناً، لا شكّ أنّ أنفاً أكثر بروزاً سيحسّن الصورة. دفعت بها حشود الناس إلى جانب الجسر. كان عليها المرور وتفادي لوحة أحد التماثيل لكي لا ترتطم بالحاجز المعدني. كانت اللوحة المعدنية لمّاعة بسبب آلاف الأشخاص الذين يلمسونها بانتظام. سانت جان نيبوموك. هو تشيكي تمّ إعدامه عبر رميه عن أحد الجسور. لا يعرف المرء ما هي المعلومات الصغيرة التي تستقرّ في ذهنه بعد قراءة دليل

سياحي. تذكّرت لوميكي أيضاً ما يقال عن أنّ لمس التمثال يجلب الحظّ ويضمن عودة الزائر إلى براغ مرّة أخرى يوماً ما.

كان الحظّ هو بالضبط ما تحتاج إليه في هذه اللحظة. فقد سمعت أنفاس مطاردها الثقيلة، وكانت قريبة جدّاً. من جهة أخرى، لم تكن حتّى واثقة من أنّها ترغب في العودة يوماً ما إلى براغ إن بقيت على قيد الحياة.

كانت لوميكي قد وصلت تقريباً إلى الطرف الآخر من الجسر. وكان قلبها ينبض بعنف بين أضلعها محاولاً ضخّ الأوكسجين إلى عضلاتها التي كانت على شفير الانهيار. كما أنّ الحرّ الشديد جعل جسدها أقرب إلى الغليان.

عازف كؤوس، هذا مستحيل. وجدت لوميكي نفسها أمام عجوز نحيل يعزف على عشرات الكؤوس الرقيقة المصفوفة أمامه في ثلاثة مستويات. صبّت كلّ تركيزها وحافظت على توازنها للانحراف يساراً من حول الرجل وتجاوزه بأمان من دون أن تكسر كأساً واحداً.

عندئذٍ، رفع الرجل العجوز يديه لشكرها، وبدا كأنّه مصنوع هو نفسه من الزجاج.

بعد لحظة، سمعت خطوات مطاردها الثقيلة تقترب، تبعتها صرخة الرجل مع تحطّم أوّل كأس، ليتبعه الثاني، والثالث، والرابع. مثل قطع من الدومينو، تتالى تحطّم الكؤوس مسبّباً انفجاراً زجاجياً. راح القاتل يصرخ ويشتم، وبدا واضحاً أنّه تأذّى هو نفسه، وخسر من وقته الثمين.

اندفعت لوميكي بعيداً عن الجسر، وتعهّدت بعدم عبوره

مجدّداً بإرادتها.

شعرت بشيء من الارتياح لعلمها أنّ القاتل لن يتمكّن من اللحاق بها فوراً على الأرجح. فاستمدّت قوّة جديدة، وقاومت الحرّ. لم تعد تشعر بالقروح التي سبّبها صندلها، كما أنّ عرقها بدأ يبرد.

ركضت إلى السلالم المؤدّية إلى دار العبادة الكبيرة المسماة سانت فيتوس، وبدأت ترتقيها كلّ درجتين معاً. فقد أحسّت أنّ فرحة الفرار منحتها أجنحة. صحيح أنّها ستتأخّر على موعدها بضع دقائق، لكنّها ستتمكّن من الوصول على قيد الحياة، وهو أمر لم يكن مؤكّداً منذ لحظات.

هتف بعض الصبية الجالسين على السلالم مشجّعين. فنظرت إلى الخلف، مع أنّها كانت واثقة أساساً أنّ أحداً لا يتبعها.

كلّ ما تتمنّاه الآن هو أن تجد لينكا بانتظارها.

22

التفتت فتاتان صغيرتان عن المرآة، إحداهما أكبر من الأخرى، شقيقتان. وقفتا يداً بيد.

تبدّدت الصورة من أمام عيني لوميكي، ورأت نفسها في المرآة هي ولينكا. دخلتا إلى حمّام السيّدات في المقهى نفسه الذي التقتا فيه أوّل مرّة. فقد تصوّرت لوميكي أنّ مطاردها لن يبحث عنهما أوّلاً في هذا المكان، حتّى لو تمكّن من اللحاق بها إلى هنا. كما أنّه لن يجازف على الأرجح بجذب الانتباه إليه عبر دخول حمّام للسيّدات.

بدت قميص لوميكي منفرة. أحمر مع أبيض، كأنّها أتت مباشرة من مسلخ. نظرت إليها النادلة في المقهى باستغراب، لكنّ تعبير لوميكي بدا كئيباً بما فيه الكفاية بحيث قرّرت المرأة عدم قول شيء.

هزّت لينكا رأسها وسالت الدموع على خدّيها.

قالت: «لا يمكنني الرحيل».

كانت تكرّر هذه اللازمة طوال الوقت، مع أنّ لوميكي حاولت إقناعها أنّها إن لم ترحل معها قد تموت.

«ستكون حياتك في خطر إن عدتِ إلى هناك. فآدم رجل مجنون وسيقتلكم جميعاً».

حاولت لوميكي أن تخفض صوتها، مع أنّها ودّت لو تصرخ بهذه الكلمات.

جادلتها لينكا قائلة: «لكنّنا سنفوز بالحياة الأبدية».

عندئذٍ، صفعت لوميكي المغسلة بكفّيها غضباً.

كيف يفترض بها أن تتحدّث مع أولئك المجانين ذوي الأدمغة المغسولة لكي يفهموا؟

تنهّدت لوميكي قائلة: «على الأرجح ستنالين الحياة الأبدية إن كان هذا ما تعتقدين به. لكن لم العجلة؟ سيظلّ بإمكانك نيلها بعد ستّين عاماً، بعد أن تكوني قد عشتِ حياة طويلة وسعيدة، عوضاً عن الموت في شبابك».

«لا يمكنني أن أقرّر ساعة وفاتي، بل عليّ قبول ما يُفرض عليّ من الأعلى». أتت الكلمات بشكل آلي، مثل تسجيل كُرّر مراراً.

«لستِ مضطرّة لذلك، يمكنك اتّخاذ قراراتك الخاصّة بنفسك».

«إن رحلت، سأكون مُعدَمة، فأنا لا أملك شيئاً، وليس لديّ أحد».

أمسكت لوميكي بيد لينكا، ونظرت إلى عينيها في المرآة.

«لديك أنا. فأعضاء المجموعة لا يقربونك بأيّ شكل من الأشكال. أنا أختك، وأنا من سيساعدك».

هزّت لينكا رأسها رافضة وانتحبت بمزيد من الأسى.

قالت: «كلاّ، غير صحيح».

«بلى، أعدك».

مكتبة

«كلاّ، لقد كذبت عليك. أنا من اختلق هذه القصّة بأكملها، إنّها قصّة ملفّقة».

تركت لوميكي يد لينكا، وأحسّت فجأة بالضعف. فوجئت تماماً، ليس لأنّ لينكا كذبت عليها، وليس لمدى قسوة هذا الكلام عليها. فجأة، بجملة واحدة، حطّمت قطعة الأحجية المصيرية التي اعتبرتها ماضيها، لتخلّف وراءها فجوة أكبر وأكثر فراغاً من ذي قبل. في تلك اللحظة فقط، فهمت لوميكي كم كانت تودّ أن تساعدها لينكا على كشف السرّ الذي تخفيه عائلتها.

لقد خسرت أختها.

قالت لينكا: «قمت بالتجسّس عليك».

«لماذا؟».

أصبحت هي الآن تتكلّم مثل آلة. فقد سقط حجاب على أفكارها، لكن يبدو أنّ فمها ظلّ يلفظ كلمات غير مفهومة.

«أعرف أنّ أبي كان يتحدّث السويدية، أمّي أخبرتني بذلك. لكنّها لم تخبرني شيئاً آخر عنه، ولا حتّى اسمه. غير أنّني سمعتك تتكلّمين باللغة السويدية مع بعض السيّاح».

تذكّرت لوميكي مجموعة من السويديين المتقاعدين الذين حاولوا سؤالها عن الاتّجاهات بإنكليزية رديئة، فأشفقت عليهم لوميكي وأجابتهم بالسويدية، الأمر الذي أفرح الجدّات والأجداد بحيث أرادوا شراء البوظة لها. لكنّها رفضت، خشية أن تتحوّل إلى دليلهم السياحي وقارئ خرائطهم.

«تبعتك وعرفت اسمك من الفندق. كما استرقت السمع إليك وأنت تتحدّثين على الهاتف مع شخص دعوته بيتر ومن ثمّ أبي».

تذكّرت لوميكي الاتّصال أيضاً. فقد أجاب والدها على الهاتف بطريقة رسمية قائلاً «معك بيتر أندرسون»، فردّت عليه

لوميكي ممازحة بالنبرة نفسها. عندئذٍ أخبرها والدها أنّه لم يستطع رؤية اسم المتّصل بسبب ضوء الشمس الساطع، لذلك أجابها بهذه الطريقة.

«لكن لماذا؟» تمكّنت لوميكي بصعوبة من طرح ذلك السؤال الذي كان يخنقها.

لا تذكر أنّ أحداً سبق أن نجح إلى هذا الحدّ في الكذب عليها. ربّما كانت ترغب حقّاً في إيجاد تلك القطعة المفقودة من الأحجية.

«لأنّني لا أملك في الواقع أحداً مقرّباً منّي في العائلة البيضاء. فلكلّ منهم صديق مقرّب أكثر من الآخرين، ولطالما رغبت في أن يكون لديّ أخت. اعتقدت أنّني إن امتلكت أختاً لن أشعر بالوحدة إلى هذا الحدّ، حتّى لو كانت أختاً مزيّفة. وقد نسجت هذه القصّة في خيالي لسنوات، بحيث بدت لي حقيقية جدّاً وبدأت بتصديقها أنا نفسي. وعندما رأيتك، عرفت على الفور أنّك ستكونين أختي الخيالية».

أصغت لوميكي إلى كلام لينكا وفهمتها، لكنّها شعرت ببرود تامّ. فكلّ ما استطاعت التفكير فيه هو كيف خانتها.

لم تقل لوميكي شيئاً، وبقيت لينكا صامتة. غريبتان أمام مرآة.

«تفهمين الآن أنّني لا أملك أحداً أو شيئاً فعلاً. لا شيء سوى العائلة البيضاء ومعتقدي».

شعرت لوميكي أنّها لا تملك الطاقة لمزيد من الجدال، ولا لإقناع لينكا بالعدول عن قرارها. لتفعل ما تشاء. فهذا ليس من شأن لوميكي، ولم يكن يوماً كذلك.

لمست لينكا كتف لوميكي بخفّة ثمّ خرجت، ولم تلتفت لوميكي إليها.

بقيت واقفة هناك تحدّق إلى نفسها وإلى قميصها الملوّث بالدماء. تذكّرت حلمها، ودموع الدم. أنت أختي. هل كانت تلك مجرّد قصّة خيالية أيضاً؟ أم كابوساً؟ أم كذبة؟

* * *

تناولت المرأة الهاتف النقّال. ليس لديها الوقت لتضيعه. عندما ردّ عليها الطرف الآخر، دخلت في الموضوع مباشرة.

«ما زالت الفتاة تسبّب لنا المشاكل، وقد تدمّر كلّ شيء. علينا تقديم الموعد. يجب أن يحدث ذلك اليوم».

«اليوم؟ لست واثقاً أنّنا نستطيع -».

«بل نستطيع. نحن مضطرّون لذلك. كلّ شيء جاهز، ويمكنني التنفيذ في أيّ وقت. ما عليك سوى تولّي مهامك. قل وحسب إنّك تلقّيت أمراً من سلطة أعلى، حتّى إنّك لن تكذب».

«لم يكن الكذب يوماً مشكلة بالنسبة إليّ».

«نحن مختلفان في ذلك. فأنا لا أريد رواية أكاذيب بل قصص حقيقية. فهي أكثر تشويقاً».

«وأنا أكذب لإعطائك قصّة حقيقية».

«لهذا تتقاضى المال».

«ربّما في هذه الحياة، لكن ماذا عن الحياة الأخرى».

«ومن يريد استباق الأمور إلى هذا الحدّ؟».

«حسناً، اليوم إذاً. نظرياً، كلّ شيء جاهز، ولا نحتاج سوى إلى شرارة صغيرة -».

«- وستشتعل النار، كما ينبغي بالضبط. عند الساعة السابعة تماماً؟».

«يبدو الوقت مناسباً».

مرّرت فيرا سوفاكوفا يدها على سطح مكتبها. ستكون أخبار هذا المساء حافلة بهذا الحدث وحسب. على قناتها أوّلاً، وقبل الجميع، وذلك بتغطية كاملة ومفصّلة. وفي اليوم التالي، ستتبعها الصحف، صحفها، وذلك لأسابيع قادمة. صور كبيرة، ودموع، ومقابلات مطوّلة، وتحليلات خبراء. تراجيديا لا تصدّق، مع بصيص أمل صغير. قصّة بطل.

لم تكن تخشى ما إذا كانت أفعالها غير أخلاقية، فهي كذلك بالطبع. لكنّ الأخلاق لا تبيع الصحف، ولا سيّما المساحات الإعلانية. فكلّما كثر القرّاء والمشاهدون، كثرت الإعلانات وكثر المال لتقديم أخبار أفضل، وقصص أضخم وأكثر تأثيراً في أناس توّاقين للعاطفة والإثارة، لكن ليس من قصص خيالية، بل حقيقية.

كانت فيرا سوفاكوفا تعرف أنّها ليست المرأة الوحيدة في هذه الصناعة التي تملك مفهوماً مرناً لماهيّة الأخلاق. فالرشوة للحصول على الأنباء، والتجسّس على الهواتف، وطرد المراسلين غير المطيعين، وانتظار السياسيين لالتقاط هفواتهم الصغيرة، كلّ هذا لا يحتاج سوى إلى كلمة خاطئة واحدة. والعمل في مجال الإعلام يعني كلّ ذلك وأكثر. ربما تجاوزت الحدود أكثر من غيرها، لكن من يدري؟ فصحيح أنّ فيرا سوفاكوفا لا تميل إلى تصديق نظريّات المؤامرة، لكن في بعض الأحيان، يبدو أنّ القصص الإخبارية الكبيرة والمآسي الإنسانية تتماشى على نحو مذهل مع

الأهداف الاقتصادية لبعض الشركات الإعلامية.

هـل الصدفـة هـي دائماً صدفة، أم ثمّة من يحرّك البيادق على لوحة الشطرنج؟

سأل الرجل: «وكيف تضمنين ألاّ يخطئ بطلك ويتحرّك أبكر من الوقت المحدّد؟».

أدركـت فيـرا أنّ بيدقهـا البطـل كان أكبر مجازفـة منذ البداية. فقد كانت بحاجة إلى التحكّم بعواطفه وتصرّفاته بأكبر دقّة ممكنة. فعثـرت فيرا علـى المقابلات، وقدّمت المعلومات، وخطّطت لكي يتـمّ تخريـب منزلـه «بكلّ ما فيه»، على حدّ طلبها. حتّى إنّ فيرا لم تفكّـر فيـه علـى أنّه رجـل، بل دمية صغيرة تحـرّك خيوطها بيديها. بطل يعتقد أنّه اكتشـف كلّ شـيء بمفرده، لكنّه في الحقيقة، تلقّى كلّ معلومة من المعلومات التي جمعها في اللحظة أرادتها فيرا.

«ستكون المعلومات التي سأعطيه إيّاها دقيقة. وصدّقني عندما أقول إنّه يتمتّع بقدر كافٍ من الطموح لكي ينفّذ ما أريد بالضبط. سأقنعه أنّ الشرطة وفرق الإنقاذ ستظهر في الوقت المناسب. وبما أنّه يتوق إلى المغامرة، فهو يريد أن يكون في واجهة هذه القصّة. عليّ أن أغلق الخطّ الآن، فقد أتى».

أغلقت فيرا سوفاكوفا الخطّ، في الوقت الذي طرق فيه جيري هاسيك بابها لحضور اجتماعهما.

23

أظلم كلّ شيء. لفّ السواد كلّ ما يحيط بلوميكي، وأحبّت ذلك. للحظة، أملت أن يستمرّ الظلام بلا نهاية، وأن تتنفّس فيه بهدوء من دون التفكير بأيّ شيء، من دون أن تفكّر حتّى في كلّ الناس من حولها. لكنّ أضواء المسرح عادت، وكشفت للجمهور ظلال غابة كثيفة ومظلمة، يمكن للمرء أن يضلّ طريقه فيها بسهولة. بإمكان الحكاية الخرافية أن تبدأ الآن.

عندما غادرت لينكا المقهى، جلست لوميكي لمدّة من الوقت مهزومة. كتمت صوت هاتفها، لأنّها لم ترغب في الانشغال بأيّ شيء أو أيّ شخص يزعجها، ثمّ انطلقت تهيم في الشوارع.

كذبت لينكا.

هي ليست شقيقتها.

لم تستطع كشف السرّ أو حلّ أيّ شيء. بل سقطت ضحية أوهام فتاة غير متّزنة إلى حدّ ما. ومع أنّ الحقيقة أصابتها بالذهول، إلاّ أنّها لم تستطع الإحساس بالغضب تجاه لينكا. لم تشعر بأيّ أسف، بل مجرّد لا مبالاة وفراغ.

لم يعد الأمر مهمّاً، لم يعد يهمّ إن لم تر لينكا مجدّداً. ولم يعد يهمّ إن انتحر كلّ أعضاء المجموعة. الأمر سيان بالنسبة إليها،

ولم يعد من شأنها. فقد تمّ استخدامها كبيدق في لعبة ذهنية مريضة وغريبة. كانت ضحية خداعة.

كمن يمشي في نومه، تجوّلت لوميكي في المدينة القديمة، وقادتها خطواتها عبر باب مفتوح نزلت منه على سلّم. وجدت نفسها في مسرح تحت الأرض بدأت فيه للتوّ مسرحية ظلال.

بإمكانها أن تمضي آخر أيّامها في براغ تتصرّف مثل سائح عادي، تشاهد الأفلام والمسرحيات، فهذا ما أتت من أجله في المقام الأوّل. أتت لتستكشف المدينة بمفردها، وتكون بمفردها، وتفعل ما يروق لها، بمفردها. لكن في الواقع، عرفت لوميكي أنّ ما أرادته فعلاً هو الهرب من أفكارها وكلّ الصدمات التي تعرّضت لها. أرادت شيئاً مختلفاً وجميلاً، ولو للحظة.

اشترت لوميكي تذكرة، وجلست في الصفّ الخلفي على مقعد خشبي منجّد بالمخمل. لم تكن القاعة ممتلئة بالكامل، لذلك استأثرت بصفّ المقاعد بأكمله، وكان هذا جيّداً. ففتاة تفوح منها رائحة العرق، وترتدي قميصاً ملوثاً بالدماء الجافّة لا تُعتبر على الأرجح رفيقة مسرح مثالية.

تمّت تأدية المسرحية بكاملها من دون كلام، ولم تستخدم سوى الموسيقى والظلال.

ذات مرّة، عاشت أميرتان، وكانتا أفضل صديقتين في العالم. ركضتا يداً بيد في الغابة، هرباً من الوحوش والحيوانات المفترسة. قامتا بحماية بعضهما البعض وأنقذت كلّ واحدة منهما الأخرى مراراً. سرّحتا شعرهما الطويل، وروتا القصص لبعضهما. لم يستطع

أحد أو أيّ شيء التفريق بينهما.

راحت لوميكي تتفرّج، بينما غيّرت الظلال من أشكالها وجعلت الأميرتين تضحكان وتقفزان فوق جدول للفرار. كانتا تضجّان بالحياة، مع أنّهما ليستا سوى ظلّين على خلفية مضيئة. أفرغت لوميكي ذهنها من الأفكار، وانغمست في القصّة التي تروى أمامها. نجحت في نسيان لينكا، وجيري، والقاتل، والمجموعة، وبراغ بأكملها، كما نجحت في نسيان أمر كلّ الجمهور.

كانت بمفردها مع الظلال.

في أحد الأيّام، اختفت أميرة من الأميرتين. بحثت عنها الأميرة الأخرى طويلاً، وجالت كلّ أرجاء الغابة وهي تبكي وتنتحب، لكن بلا جدوى. مرّ عام، وتلاه آخر، إلى أن تعاقبت سبع سنوات طوال. عبرت الشمس والقمر السماء آلاف المرّات. خلال هذه المدّة، لم تعد الأميرة تضحك، بل كانت تمضي أيّامها جالسة في الغابة بحزن، تغنّي أغنية اعتادتا على غنائها بسعادة في ما مضى.

في أحد الأيّام، بلغ الأميرة أنّه على مسافة بعيدة جدّاً، خلف سبعة جبال وسبعة بحار، يوجد برج سُجنت فيه أميرة. يحرس البرج تنّين مخيف، ولا يمكن لأحد إنقاذ الأميرة. عند سماع ذلك، انطلقت الأميرة في رحلة خلف سبعة جبال وسبعة بحار لتعرف ما إذا كانت تلك الأميرة هي صديقتها التي أضاعتها منذ زمن طويل.

عندما وصلت إلى البرج، رأت التنّين على قمّته ينفث النيران التي أحرقت كلّ ما حوله تماماً. فقرّرت الأميرة الانتظار حتّى ينام التنّين. أخيراً أظلمت السماء وظهرت النجوم. بذلت الأميرة جهدها لتبقي عينيها مفتوحتين، لكنّها استغرقت في النوم قبل أن ينام التنّين.

استيقظت على صوت شخص يغنّي الأغنية الحزينة نفسها التي كانت تغنّيها طوال سبع سنوات. فنظرت إلى نافذة البرج ورأت صديقتها. بكت الأميرتان من شدّة الفرح عندما عرفتا بعضهما. صاحت الأميرة الآتية من بعيد أنّها ستنقذ السجينة، لكنّ هذه الأخيرة أجابتها أنّ الوقت ليس مناسباً لأنّ التنّين قد يظهر في أيّ لحظة ويحرقها بناره. لكنّ الأميرة عرفت أنّهما تواعدتا على حماية بعضهما دائماً، لذلك، قرّرت تسلّق البرج.

عندما وصلت إلى النافذة المرتفعة، تعانقت الصديقتان طويلاً وابتسمتا. فجأة، تغيّرت نظرة الأميرة. تغيّر شكل عينيها وذراعيها. تحوّل شعرها إلى حراشف، وطرف ثوبها إلى ذيل طويل. أمّا الأشرطة الحريرية التي كانت تزيّن رأسها فتحوّلت إلى أجنحة. في تلك اللحظة، أدركت الأميرة الآتية من بعيد أنّها تحدّق إلى عيني التنّين.

مع ذلك، لم تخف منه. بل لمست خطم التنّين بحنان، وقالت له إنّه ما زال الأميرة من الداخل، أم أنّها أميرة بداخلها تنّين. نظرت الأميرة التنّين إلى صديقتها وفهمت، ثمّ بدأت تذرف دموعاً سوداء كبيرة، سالت على جدران البرج وروت الأرض المحروقة وجعلتها تزهر من جديد. بكت الأميرة التنّين لأنّها عرفت أنّ الناس لن يقبلوا بها بعدما أصبحت تنّيناً. كما أنّ الوحوش لن تقبل بها لأنّها إنسان.

عانقت الأميرة الآتية من بعيد صديقتها التنّين ووعدتها أنّهما ستبقيان معاً، مهما حدث. فهما ليستا بحاجة إلى شخص آخر. ستبحثان عن مكان يمكن فيه للأميرات والوحوش التعايش بسلام،

حتّى لو كانت شخصاً واحداً.

في المشهد الأخير، طار التنّين نحو البدر الذي يضيء السماء، حاملاً الأميرة على ظهره.

لاحظت لوميكي أنّ خدّيها مبلّلان بالدموع. فمسحت وجهها باستغراب. هل كانت تبكي؟ هذا ما يبدو. لا تذكر في الواقع آخر مرّة بكت فيها. فقد ظنّت أنّها فقدت القدرة على البكاء.

لقد استغرقت في مسرحية الظلال تماماً، بحيث نسيت نفسها وكلّ أفكارها الواعية. فاستولت عليها أحاسيس اللاوعي، وأيقظت القصّة صوراً متنوّعة.

لوميكي وبلايز.

لوميكي ولينكا.

لوميكي وفتاة لعبت معها في طفولتها، وتظاهرتا أنّهما فتاتان تدعيان بياض الثلج والوردة الحمراء. فجأة تذكّرت القصّة واللعبة تماماً. ففي القصّة، يقوم أمير تحوّل إلى دبّ بفعل السحر بإنقاذ الفتاتين. أحبّت اللعبة مع أنّها لم تفهمها تماماً. فصديقتها كانت أكبر منها بعض الشيء وراحت تخبرها القصّة وهما تلعبان. كانت بياض الثلج والوردة الحمراء معاً دائماً، تنقذان بعضهما، تماماً مثل الأميرتين في المسرحية.

لينكا أنقذت لوميكي. فمهما كانت لوميكي تكره الكذب، إلاّ أنّها لا تستطيع أن تنكر أنّ لينكا أنقذتها. جازفت بنفسها من أجل لوميكي، وساعدتها على الفرار مع أنّها تعرف أنّ لوميكي ليست أختها فعلاً وأنّ إنقاذها قد يشكّل كارثة بالنسبة إليها.

كان الجمهور قد غادر المسرح أساساً، حتّى إنّ بائع التذاكر وقف عند الباب وتنحنح عمداً. فوقفت لوميكي وهي تشعر بشيء من الدوار، لكنّ هذا الإحساس سرعان ما تبدّد عندما شدّت على أسنانها وتوجّهت بتصميم نحو الباب.

كانت تكره أن تدين بشي لأحد، وهي تشعر الآن أنّها تدين بحياتها للينكا.

في الخارج، سقطت أشعة الشمس المنحرفة على عيني لوميكي وحاصرها الهواء الحارّ من كلّ جانب. تحقّقت من هاتفها، ووجدت أنّ جيري حاول الاتّصال بها خمس مرّات، وكانت آخر مرّة منذ عشر دقائق، كما ترك لها رسالة. حاولت الاتّصال به، وعندما لم يجب، أصغت إلى الرسالة. قال جيري إنّه ذاهب إلى منزل العائلة البيضاء من أجل قصّته، وإنّ الانتحار الجماعي قُرّر هذه الليلة. ويفترض بالشرطة وفرق الإنقاذ الحضور للمساعدة.

لم تتوقّف لوميكي للتفكير، بل انطلقت تجري. ما زال بإمكانها اللحاق بجيري في مبنى سوبر8 ومرافقته.

وصلت وهي تلهث عند الساعة 6:15 مساء. فرمقتها موظّفة الاستقبال من رأسها إلى أخمص قدميها بعينين مشفقتين.

«يوم شاقّ؟».

«وقد يسوء أكثر. أما زال جيري هنا؟».

«كلاّ، رحل للتوّ. لم يقل إلى أين لكن -».

في تلك اللحظة، خرجت امرأة في الأربعين من عمرها تقريباً من المصعد، وأجفلت عندما رأتها. بدا كأنّ المرأة عرفت لوميكي،

مع أنّ هذه الأخيرة لا تذكر أنّها رأتها من قبل. غير أنّ نظرتها بدت مخيفة بحيث أرسلت قشعريرة في جسد لوميكي. أسرعت المرأة، ثمّ رفعت هاتفها إلى أذنها، ملقية نظرة أكثر حدّة على لوميكي قبل أن تخرج.

«مـن تكـون؟» أثار سـؤالها اسـتغراب موظّفة الاسـتقبال التي نظرت إليها بدهشة.

«ألا تعرفينها؟ إنّها فيرا سوفاكوفا، الرئيسة التنفيذية لقناة سوبر 8».

لوّحت لوميكي بيدها شاكرة وانطلقت إلى الخارج.

كان عليها الوصول إلى منزل لينكا قبل وقوع المأساة.

24

أوّل ما لاحظه جيري كان الرائحة الحادّة والخانقة. لم يستطع تحديد ماهيّتها للحظة، إلى أن ذكّرته بصيف أمضاه في مخيّم للشباب منذ عشر سنوات. فقط أمضوا كلّ ليلة جالسين حول النار. وبما أنّ الصيف كان ممطراً، كان من المستحيل إشعال الحطب الرطب بعودين من الكبريت وبعض أوراق الجرائد. لذلك استخدموا سائلاً مشتعلاً.

ثمّة من استخدم سائلاً مشتعلاً هنا أيضاً، لكن بكمية أكبر بكثير. ربّما عشرات لا بل مئات الغالونات. حرص جيري على عدم الدوس على حزم الأقمشة المتناثرة على الأرض، والتي كانت مبلّلة تماماً.

لم يكن ثمّة أحد في الجوار، كما أنّه لم يسمع أيّ صوت.

لم يجد جيري في ذلك إشارة جيّدة. في الواقع، كانت إشارة سيّئة جدّاً. فهو لم يعتقد ولا للحظة واحدة أنّ أعضاء المجموعة رحلوا أو قرّروا التخلّي عن خطّتهم. فما من أحد سيُقدم على إضاعة كلّ هذا الوقت والطاقة وهذا القدر من السوائل المشتعلة لإحراق منزل متهالك أساساً. لا بدّ أنّهم ما زالوا في المبنى، في مكان ما في أعماقه.

بدا الطابق الأرضي خالياً، وكانت الأبواب التي تربط بين

الغرف مفتوحة. تناثرت قطع الأقمشة المبلّلة بالسائل في كلّ مكان، على الأرضيات وعلى قطع الأثاث الضئيلة. تكفي شرارة واحدة قوية لإشعال النار في المكان بأكمله فوراً. وهذا هو القصد بالتأكيد.

حمل الكاميرا، وجال في الطابق الأوّل، محاولاً تثبيت يده قدر الإمكان، قبل أن ينطلق إلى الأعلى. وجد الطابق العلوي هادئاً هو أيضاً مثل قبر. فأمل يائساً ألاّ يكون قد وصل بعد فوات الأوان.

فكّرت لينكا بأمّها.

تخيّلت يدي أمّها وهما تضفّران شعرها وتداعبانه. كانت يداها حنونتين وقويتين. كانتا قويتين، ودائماً معها، لكنّهما لم تكونا أبداً ثقيلتين. كانت يدا أمّها ماهرتين وبارعتين أيضاً، تصنعان الكرواسان بسهولة، تماماً مثلما تفتحان مصرفاً مسدوداً، أو تصلحان مفصل باب مكسور.

تذكّرت شعر أمّها الذي كان يدغدغ وجهها عندما تنحني لتقبّلها قبل النوم. كانت تصرّ على القيام بذلك حتّى عندما أصبحت لينكا تعتقد أنّها كبرت على قُبَل المساء. في مراهقتها، كانت تعترض، وتشدّ الأغطية فوق رأسها، وتختبئ تحتها. فكانت أمّها تقبّلها من خلال الغطاء بحيث تشعر لينكا فقط بضغط خفيف. بعد ذلك، عادت لينكا تقدّم لها خدّها، أو جبينها، أو شعرها لأخذ قبلة، وتفرح في سرّها لأنّ والدتها تغاضت عن احتجاجاتها.

عرفت لينكا أنّه لا يفترض بها التفكير في والدتها، بل في المكان الذي هم على وشك الانتقال إليه، في المنزل الذي

ستصبح فيه عائلتهم على اتّصال مباشر بالربّ. فأمّها لم تعد تنتمي إلى العائلة، لأنّها خانتها.

عرفت لينكا من النعاس الذي بدأت تشعر به أنّ الحبوب المنوّمة تأخذ مفعولها. قريباً، ستغيب عن الوعي. لن تشتمّ رائحة السائل المشتعل المتصاعدة من ردائها الأبيض، ولن تسمع الصلوات الخافتة للناس الممدّدين حولها. قريباً، سيصمتون هم أيضاً مع استغراقهم في النوم. لم تصلِّ لينكا، فهي لم تشعر أنّها بحاجة إلى ذلك. فقد كانت تعتقد أنّ الإيمان كان كافياً لمساعدتها على تجاوز الخوف المظلم. كلّ ما أملته هو أن تكون قد استغرقت في النوم تماماً عندما تبدأ النيران في لعق بشرتها بحيث لا تشعر بها إطلاقاً. تمنّت ألاّ تشعر بأيّ ألم، ولو ضئيل، وهي في أعماق النوم.

أمّي. عادت أفكار لينكا بعناد إلى والدتها. ربّما لم يكن من غير المنطقي التفكير أنّها قد تراها مجدّداً بعد الموت. أرادت لينكا الاعتقاد بنوع من الرحمة والغفران الذي يتجاوز ما علّمتها إيّاه العائلة.

هذا ما قالته العائلة، إنّه في الموت تنتظرهم حياة جديدة وحقيقية.

لم تعد لينكا تشعر بقدميها، ولا يديها. لقد نام جسدها أساساً، لكنّ عقلها ما زال يترنّح على الحافّة.

الحياة.

هل كانت هذه حياتها، هكذا، كواحدة من البشر؟ لا أكثر؟ لم تقم يوماً بزيارة بلدان أخرى، ولم تقبّل أحداً، لم تسهر الليل وهي تتحدّث مع صديق. لم تشعر بغضب كبير بحيث رغبت في

الصراخ والبكاء. لم تضِع في مدينة غريبة. ولم تضحك حتّى تنقطع أنفاسها.

شدّ النوم لينكا أكثر إلى الأسفل، في حين استولت على عقلها الواعي حالة من الذعر مع تركيزه على فكرة واحدة: لا أريد أن أموت. أريد أن أعيش.

أريد أن أعيش.

أريد...

قفزت لوميكي من فوق السياج الحديدي المرتفع. كانت ساقاها ترتجفان من التعب، ويداها متعرّقتين بحيث استطاعت بالكاد التمسّك بالقضبان. غير أنّ الوقت لم يكن مناسباً للقلق، بل عليها دخول المنزل بأسرع وقت ممكن.

كانت قضبان الحديد المسنّنة التي تعلو السياج حادّة. غير أنّ لوميكي بذلت جهدها للتمسّك بها لتتمكّن من إلقاء نفسها في حركة واحدة. مع ذلك، انزلقت يدها في اللحظة الأخيرة، وشعرت بالطرف المعدني المسنّن وهو يخدش فخذها، وبدأت الدماء تسيل على الفور. اختلّ توازنها بفعل الألم، فسقطت في الفناء على جنبها، وليس على قدميها كما خطّطت. ولحسن الحظّ، فكّرت في ضمّ مرفقيها إلى جسدها وخفض ذقنها إلى صدرها لحماية عنقها.

تدحرجت لوميكي عدّة مرّات بعد سقوطها، ثمّ بقيت ساكنة لبضع ثوانٍ لالتقاط أنفاسها. آلمتها أضلاعها وجرح ساقها، لكنّها كانت على ما يرام في ما عدا ذلك، ولم تصب بأيّ كسور أو كدمات خطيرة. في الواقع، واجهت ما هو أسوأ في حياتها. فقد

ذهبت إلى بيتها من المدرسة وهي تعرج، وكانت في حال أسوأ بكثير ممّا هي عليه الآن، وادّعت أنّ شيئاً لم يحدث.

نهضت لوميكي، وهي تشعر بضعف في قدميها وببعض الدوار، لكنّها ما زالت قادرة على السير. لا شكّ أنّ العطش كان مسؤولاً عن حالتها أكثر من أيّ شيء آخر.

لم يكن ثمّة أحد في الفناء. قد تتمكّن من الوصول في الوقت المناسب.

لم تكن واثقة، لكن بعد رؤية فيرا سوفاكوفا، تولّد لديها انطباع قويّ أنّ تلك المرأة تعرف عن خطّة الانتحار أكثر من أيّ شخص آخر. حتّى إنّها قد تكون متورّطة فيها بشكل من الأشكال. فمن الذي سيستفيد من الخطّة؟ بالطبع آدم هافيل/ سميث، الذي سيفرّ من المجموعة لأنّه سحب منهم أساساً ما استطاع من المال وأصبحوا الآن مجرّد عبء بالنسبة إليه. لكنّ وسائل الإعلام ستستفيد أيضاً، لأنّها ستستغلّ كلّ لحظة من المأساة. فالقناة سوبر8 هي من أرسلت صحفياً لإجراء تحقيق عن المجموعة. ورئيسة ذلك المراسل هي التي أرسلته بمفرده لتغطية قصّة خطيرة. أوليس من الغريب أن تكون المعلومات حول التوقيت الدقيق للانتحار قد وصلت أوّلاً إلى سوبر 8؟

هُرعت لوميكي إلى الباب الجانبي ووجدته مخلوعاً أساساً. اشتمّت عند الباب رائحة مألوفة، كانت رائحة عطر جيري. هذا يعني أنّ جيري هنا هو الآخر، لكن ليس منذ مدّة طويلة. هذه الفكرة أعطت لوميكي مزيداً من الثقة. بإمكانهما منع المأساة معاً، ما لم...

تحوّلت تلك الكلمة المزعجة إلى جملة كاملة في ذهن لوميكي. ما لم يكن جيري متورّطاً في المؤامرة؟ هذا محتمل جدّاً، لا بل هو مرجّح في الواقع. فما هي الفكرة من إرسال رجل لأداء مهمّة وهو يجهل ماذا يجري خلف الكواليس؟

إن كان هذا صحيحاً، فإنّ لوميكي لا تعرف من الذي يجب أن يخيفها لقاؤه في هذا المنزل. لكن لا وقت للتفكير أو التحليل. دخلت من الباب إلى المنزل الغارق برائحة السائل المشتعل.

25

أخذت فيرا سوفاكوفا بضعة أنفاس عميقة وتلذّذت بتلك اللحظة. الآن سيبدأ كلّ شيء. حضّرت بصبر لهذا العرض الإعلامي منذ مدّة طويلة. كان آدم هافيل قد أتى إليها قبل أعوام، وعرض عليها خبراً حصرياً عن العائلة البيضاء، مقابل ثمن بالطبع. لكنّ فيرا رأت أنّ القصّة تحتاج إلى شيء إضافي. فبدءا يخطّطان معاً لتراجيديا كبيرة بما فيه الكفاية لأسر انتباه البلد بأكمله.

تخيّلت فيرا الناس وهم يصمتون واحداً تلو الآخر في مقاهي براغ وملاهيها. يحاول أحدهم متابعة الكلام، فيُصمته الآخر فوراً. في المنازل، يتفرّج الناس بدهشة بينما يقاطع النبأ العاجل برامجهم المفضّلة. وترنّ الهواتف النقّالة ليقول المتكلّمون لأصحابها: «شغّل التلفاز، وشاهد ما يحدث».

الشاشة التي تعرض رمز سوبر 8 في زاويتها السفلية، تمتلأ فجأة بنقل مباشر بواسطة كاميرا يدوية لمنزل قديم متداعٍ. ويرتفع صوت أنثوي، يتعرّف عليه البعض بدهشة على أنّه صوت رئيسة قناة سوبر 8، فيرا سوفاكوفا، التي كانت مراسلة صحفية لوقت طويل قبل أن تصبح الرئيس التنفيذي للمحطّة، لتروي أنّ أحد صحفيي القناة، جيري هاسيك، تمكّن من دخول منزل مجموعة خطيرة تسمّى العائلة البيضاء. كانت مصادره قد أخبرته أنّ المجموعة

تخطّط لانتحار جماعي قد يقع في أيّ لحظة. فكان جيري هاسيك أوّل الواصلين إلى مسرح الأحداث، ليخاطر بحياته، ويتحدّى الموت، بدخول المنزل على أمل إنقاذ الضحايا.

سرت رعشة في جسد فيرا وهي تتخيّل الناس مسمّرين أمام شاشاتهم. في تلك اللحظة فقط، سيدركون أنّ ما يشاهدونه هو دراما حية وواقعية تجري أمام أعينهم، دراما غير معدّة مسبقاً، قد تنتهي إمّا بالنصر أو بالكارثة.

عود ثقاب واحد سيكون كافياً. غير أنّ آدم هافيل لم يجازف. رفع قنبلة المولوتوف بيده وألقاها على النافذة. فتحطّم الزجاج، واشتعلت النيران في الغرفة.

مغفّلون. صدّقوا آدم عندما قال لهم إنّه سيحرص على أن يكونوا كلّهم غارقين في سبات عميق قبل إضرام النار، بمن فيهم هو نفسه. وقد وفى بالجزء الأوّل من الوعد، وانتظر إلى أن نام الجميع. بعد ذلك أقفل الباب وخرج وانتظر دخول المراسل الأحمق من الباب الجانبي.

كان آدم هافيل يفضّل البقاء ومشاهدة المنزل القديم البشع وهو يحترق، ويلتهم أولئك الناس بغبائهم وسذاجتهم. شعر بشيء من الرضى لأنّه تمكّن هنا من إتمام ما فشل فيه في نبراسكا. هذه المرّة، بنى مجموعته بصبر أكبر، إلى أن أصبح كلّ فرد فيها يثق به ضمنياً، وإلى أن أصبحت قصصه عن أنّ النار ستنقّي أرواحهم هي أصدق الأشياء في حياتهم.

لقد استمتع آدم بالسلطة التي مارسها عليهم. من وقت إلى

آخر، كان يداعب فكرة ترك الأمور على ما هي عليه. فقد تحدّث عن الإيمان والعائلة على نحو مقنع جدّاً بحيث بدأ يعتقد بها هو نفسه. غير أنّ رعاية أتباعه باتت أكثر مللاً مع الوقت، كما أنّه يتقدّم في السنّ. والصفقة التي عقدها مع فيرا سوفاكوفا أعطته فرصة ليرحل ويكون حرّاً وثرياً.

ليس بإمكان آدم البقاء لمشاهدة الحريق الذي أشعله وهو يلتهم كلّ شيء. فطائرته ستنطلق قريباً حاملة إيّاه إلى مكان بعيد مع المال الذي أخذه من فيرا، إضافة إلى اسم جديد وجواز سفر جديد. حان الوقت ليبدأ بسجلّ نظيف، نظيف وأبيض كالثلج.

أدار آدم هافيل ظهره للمنزل، وأقفل البوّابة الحديدية خلفه. فهذا الأمر سيعيق الشرطة ورجال الإطفاء لبضع ثوانٍ. وقد تكون الثواني الحاسمة.

تطايرت كسر الزجاج على لوميكي التي انخفضت لتحمي نفسها. عندما وصلت إليها حرارة الأقمشة المشتعلة، انطلقت تصعد السلالم. عند أعلى السلّم، اصطدمت بجيري الذي كان يحمل الكاميرا.

همست تسأله وهي تضع يدها على العدسات: «ماذا تفعل؟».

أبعد جيري الكاميرا.

«أنا أصوّر».

ابتعلت لوميكي ريقها، وتوتّرت عضلاتها.

«هل أنت مشارك في هذه المؤامرة؟».

«ماذا تعنين؟».

بـدت الحيـرة واضحة وصادقة في صوت جيري وعينيه. لكن إن كانت لوميكي قد تعلّمت شيئاً خلال هذه الرحلة العجيبة، فهو عدم براعتها في كشف الكذب بقدر ما كانت تظنّ.

لـم يكـن الوقـت مناسـباً للتحليـلات الآن، فهمـا بحاجة إلى كشف كلّ أوراقهما.

قال جيري: «حصلت على أوامر من فيرا لكي -».

«أعتقـد أنّ فيـرا متورّطـة جزئيّـاً فـي هـذا الأمر. وأعتقـد أنّها كانـت تعـرف منـذ وقت طويل ماذا سـيحدث. وهي على الأرجح من أرسل القاتل خلفي. حتّى إنّ هذا الانتحار الجماعي قد يكون من تدبيرها».

تكلّمـت لوميكـي بسـرعة بصـوت خافت. وفي تلـك الأثناء، تصاعد دخان رمادي مائل إلى السواد من الطابق الأرضي، وتناهى إليهم صوت النيران وهي تلتهم الخشـب، فبدءا بالسـعال. لاحظت لوميكي أنّ جيري يفكّر بكلامها. كان يستعيد في ذهنه كلّ حادثة وكلّ معلومة قادتهما إلى هذه اللحظة. فجأة، اتّسعت عيناه بدهشة واضحة. لا شكّ أنّه وجد أنّ لوميكي قد تكون محقّة. عندئذٍ أطفأ الكاميرا.

قـال جيـري: «ليسـوا فـي الطابق الثانـي أو الثالث، لا بدّ أنّهم في القبو».

بدأت لوميكي تهبط السلّم.

«انتظـري! المـكان ليـس آمنـاً، عليك الخروج حالاً. سـيصل رجال الإطفاء قريباً، فقد تمّ إخبارهم مسبقاً. قالت فيرا...».

صمت جيري عندما فهم.

قالت لوميكي: «لم يتمّ إخبارهم بأيّ شيء. اتّصلت بالطوارئ لأتأكّد، لكنّ أحداً لم يسمع عن انتحار جماعي. لا أعرف ما إذا كانوا قد صدّقوني، ربّما اعتقدوني مجنونة، ولم يكن لديّ الوقت الكافي لأحاول إقناعهم. لكن لا بدّ أنّهم سيتلقّون مكالمة أخرى الآن من أحد الجيران».

قال جيري: «أنا سأتّصل»، وأخرج هاتفه.

بدأت النار تلتهم الجدران المؤدّية إلى الطوابق العليا. فالخرق المبلّلة بالسوائل المشتعلة لم تعد تكفيها، بل تشتهي الخشب. أصبحت الحرارة لا تطاق، في حين أنشبت النيران مخالبها الملتهبة بأعلى السلّم وبدأ الخشب يتهالك.

صاحت لوميكي: «ليس لدينا الوقت!».

بدءا ينزلان السلّم.

دفع جيري الكاميرا جانباً، فقد تكون ذات فائدة.

صاحت لوميكي: «اتبعني!» وسلكت الطريق الوحيد الذي لم يغمره بعد بحر النار.

سمعت صوت قماش يتمزّق خلفها، فالتفتت لترى جيري يمزّق قطعاً من قميصه. وأعطى واحدة للوميكي قائلاً: «خذي! ضعيها على فمك».

وصلا إلى سلّم القبو، وبدا لهما أنّ النزول إلى الأسفل هو جنون محض مع منزل من الخشب المحترق. لكن لا وقت للتفكير بمدى منطقية أفعالهما. في تلك اللحظة، سُمع صوت انهيار كبير خلفهما. لا شكّ أنّه السلّم المؤدّي إلى الطوابق العليا. فاندفعا إلى الأسفل.

غرف تخزين، غرمة مؤونة، وغرفة مقفلة. نظر جيري ولوميكي إلى بعضهما، ثمّ هزّا رأسيهما في اتّفاق ضمني، وبدءا يركلان الباب بكلّ قواهما. تزعزع الباب، لكن ليس بما فيه الكفاية. ركلا مجدّداً، ومع أنّ الباب تذمّر، إلاّ أنّه ظلّ صامداً.

كانت حرارة الهواء تتصاعد على نحو مخيف، بحيث شعرا أنّهما في فرن ملتهب، في بحيرة من النار. إنّها الجحيم.

تصاعدت الدموع إلى عينيّ لوميكي بفعل الدخان. ورأت من خلال طبقة الدموع جيري وهو ينحني ويدخل المخزن. بعد وقت بدا لها طويلاً، عاد حاملاً منشاراً آلياً.

شدّ جيري حبل التشغيل عدّة مرّات، لكنّ المنشار لم يحدث أيّ صوت. بدا واضحاً للوميكي أنّ جيري لم يشغّل منشاراً من قبل، على عكس لوميكي التي استخدمته مرّات عديدة في منزل أبناء عمومتها الصيفي في ألاند. فاندفعت نحو جيري ودفعته بعيداً عن المنشار، من دون أيّ اعتبار للياقة والأدب اللذين لم يكن الوقت مناسباً لهما.

تمنّت لوميكي أن يكون المنشار قد استُخدم مؤخّراً، لأنّ تشغيله سيكون أسهل. وضعته على الأرض، وثبّتته بقدمها اليسرى التي وضعتها في منتصف المسافة عبر القبضة الخلفية، بينما أمسكت القبضة الأماميةِ جيّداً بيدها اليسرى. وباليد اليمنى، شدّت الحبل بضع سحبات قصيرة قبل أن تسحب سحبة طويلة وقوية.

لكن لا شيء.

هيّا، هيّا.

حاولت مجدّداً. ثلاث سحبات قصيرة لإيصال مزيج الوقود

إلى الأسطوانة، ومن ثمّ سحبة طويلة وسريعة.

أخيراً، زمجر المنشار.

كان ثقيلاً، لكنّ لوميكي تمكّنت من حمله بالوضعية الصحيحة. ارتجفت عضلات ذراعها من ثقله عندما غرزت الشفرة في الباب. وأدارت وجهها بعيداً مع بدء تطاير الشظايا ونشارة الخشب. كان الضجيج يصمّ الآذان. نجحت في إحداث شرخ كبير في الباب قبل أن تخونها قواها.

قال جيري من خلفها: «ابتعدي!».

ابتعدت لوميكي عن طريقه، بينما قام بالجري بضع خطوات لركل موضع الشقّ. فانقسم الباب في الوسط.

كان الناس ممدّدون على الأرض. عدّتهم لوميكي بسرعة، كانوا سبعة عشر. بدووا كالأموات، لكن عندما لمست عنق امرأة عجوز ممدّدة بجوارها، شعرت بالنبض.

صاحت: «لقد تمّ تخديرهم!».

راح الحريق يطقطق بصوت عالٍ فوقهم بحيث صعب عليهما سماع بعضهما.

صاح جيري: «آدم هافيل ليس هنا».

«لا يهمّ. ساعدني على إنقاذ لينكا!».

وجدتها لوميكي بين الباقين. حاولت حملها، لكنّ جسدها كان مخدّراً وثقيلاً. هبّ جيري لمساعدتها، وتمكّنا معاً من وضعها بين ذراعيه. كما وضعت لوميكي ذراع لينكا حول عنقها لمساعدته على حمل بعض من وزنها.

بدءا يصعدان السلّم الضيّق ببطء وحذر، فيما أحرق الدخان

أعينهم، وأنوفهم، ورواياهم، وافترستهم الحرارة الخانقة.

كان الطابق الأرضي عبارة عن جحيم، لكنّهما استطاعا رؤية الباب الجانبي. رفعت لوميكي ذراع لينكا عن عنقها، ثمّ ربّتت على ظهر جيري وصاحت بصوت عالٍ: «اركض!».

انطلق جيري، وتبعته لوميكي. فجأة، سقط لوح محترق من السقف. استطاعت لوميكي أن تقفز إلى الخلف، ورأت من بين الدخان جيري وهو يصل إلى الباب الجانبي ويخرج بعيداً عن الحريق حاملاً لينكا بين ذراعيه.

اضطرمت النار، وتطاولت ألسنة اللهب من حول لوميكي. أحسّت بها وهي تلعق قميصها وظهرها.

أغمضت عينيها اتّقاءً للدخان، وبدأت تركض وتركض عبر النار، لتخرج من الباب وتلقي بنفسها على العشب، ثمّ تتدحرج وتتدحرج إلى أن انطفأ اللهب الذي اشتعل في ظهرها. رأت جيري ممدّداً على العشب وهو يقحّ، ولينكا ممدّدة بجانبه وغارقة في نوم عميق باطمئنان تامّ.

تصاعدت ألسنة اللهب إلى السماء.

وبصوتها الهادر، اختلطت بأبواق سيارات الإطفاء الآتية من بعيد.

الخميس، 23 يونيو

خاتمة

من الصعب فهمنا
كان من الصعب تنفيذ هذه الخطّة البسيطة
كانت صعبة، لكنّ هذا ما ألهبها.

نظرت لوميكي إلى كرات القطن الأبيض، والجبال المتوّجة بالثلوج، والمساحات الزرقاء من خلال نافذة الطائرة بينما كانت شيرلي مانسون تنشد في أذنيها أغنية عن عالم كبير مشرق. كانت الأغنية مرحة على نحو غير معهود بالنسبة لفريق غاربدج، لكنّ لوميكي وجدتها ملائمة لمزاجها في تلك اللحظة.

سمحت لأفكارها أن تستريح أمام المشهد في الخارج. الراحة، هذا ما كانت تتوق إليه أكثر من أيّ شيء آخر. أرادت أن تحبس نفسها في شقّتها وتنام لأسبوع. لكنّ هذا الخيار لم يكن مطروحاً. فاجتماع العائلة المعتاد في منتصف الصيف يقترب. وسيكون عليها أن تخبر الجميع كيف وجدت براغ.

جميلة.

شديدة الانتماء إلى آسيا الوسطى.

كثير من الثقافة. حتّى إنّني حضرت مسرحية ظلال.

مريحة.

ويمكنها أن تصف تلال المدينة، وحدائقها، وجسورها، والحرارة الخانقة نهاراً والمحبّبة ليلاً، هذا فضلاً عن أزقّة المدينة، وتماثيلها، ومقاهيها. يمكنها إخبارهم عن كلّ الأشياء الجيّدة والسهلة. وعندما يسألونها ما إذا كانت ترغب في العودة إلى براغ يوماً ما، يمكنا الإجابة بنعم بكلّ صدق، ستعود في أيّ وقت. لكن ما ستغفله هما الصديقين اللذين ينتظرانها هناك. فقد أمضت الأيّام الأخيرة من رحلتها مع جيري ولينكا. على ما يبدو، ألغت فيرا سوفاكوفا مهمّة القاتل بعد انتهاء محاولة الانتحار الجماعي، ذلك أنّ لوميكي لم تعد تشكّل أيّ تهديد، لم تعد بذات أهمّية. وكانت لوميكي ممتنّة جدّاً لذلك.

لكنّها تعرف أنّ كلّ ما يريد الناس سماعه ينحصر بالحريق وعمليّة الإنقاذ. فقد تهافتت كلّ وسائل الإعلام المحلّية على إجراء مقابلة مع «الفتاة المعجزة» التي صدف وجودها في المكان، وساعدت على إنقاذ الناس عندما حاولت مجموعة العائلة البيضاء الانتحار جماعياً. ومع أنّ لوميكي باحت بأقلّ قدر ممكن من المعلومات خلال المقابلات، وحاولت توجيه الصحفيين نحو جيري، إلاّ أنّهم كانوا مهتمّين بها هي. فقد وجدوا أنّ لوميكي هي البطلة المتعاطفة والضعيفة في آن التي أحبّها المشاهدون. وأظهروا مقاطع لها في كلّ التقارير الإخبارية بوجهها الملطّخ بالسخام وملابسها المسودّة.

حتّى في تلك اللحظة، كانت ترى الرجل الجالس في صفّ المقاعد المجاور في الطائرة يقرأ مجلّة تعرض صورة لها على الغلاف. كان شعرها القصير مشعّثاً وعيناها حمراوين ودامعتين

بفعل الدخان، بينما ظهر خدش على خدّها الأيسر بسبب شظية خشب طارت من الباب. عرفت لوميكي أيضاً أنّ المجلّة تعرض في الداخل صورة للمنشار، ووصفاً للطريقة التي قامت بها «فتاة فنلندية شجاعة ترترعت وسط الغابات» باقتحام الباب.

عندما رفع رجل الأعمال نظره، التفتت لوميكي إلى النافذة مجدّداً. ربّما لن يعرفها أحد بوجهها وملابسها النظيفة، غير أنّها لن تجازف بالاضطرار إلى رواية ملابسات الحريق مرّة أخرى لشخص غريب تماماً.

مع ذلك، سيقوم والداها وأقربائها باستجوابها حتّى وإن كانت تفضّل النسيان. فالتغطية الإخبارية لتلك المأساة المدبّرة، أثارت حفيظتها، مع أنّ مأساة أكبر بكثير تمّ تلافيها.

هكذا، حصلت فيرا سوفاكوفا على عناوينها، لكنّها كانت أصغر ممّا خطّطت له. فعدد الوفيات لم يكن كافياً، ولم يمنح الخبرَ الحجم الذي أرادته له. فالموت وحده هو الذي يصنع الأسطورة الحقيقية. وصل رجال الإطفاء إلى المكان باكراً جدّاً، بحيث اقتصرت الإصابات على بضعة حروق طفيفة لم تُحدث الصدى الذي كان يمكن أن ينجم عن موت مجموعة بأكملها حرقاً. وحدها سيّدة مسنّة أصيبت بحروق من الدرجة الثالثة وكانت الضحية الحقيقية الوحيدة.

لم يتمّ القبض على آدم هافيل. فقد أصدرت الشرطة مذكّرة لإلقاء القبض عليه، لكنّ جيري يشكّ في أن يعثر عليه أحد يوماً. فاسم آدم سميث مزيّف وما من معلومات عن هويّته الحقيقية. قد يكون الآن في أيّ مكان في العالم، وربّما يجمع حوله عصبة

جديدة من الناس المحتاجين.

بطبيعة الحال، لم يكن ثمّة أدلّة تدين فيرا سوفاكوفا. وعندما حاول جيري أن يلوي ذراعها قليلاً، اكتفت بالقول إنّ صفّاً طويلاً من الأشخاص ينتظرون نيل وظيفة مراسل في سوبر8. قال جيري للوميكي إنّه قد يطلب يوماً ما من فيرا سوفاكوفا استبداله بمراسل آخر من ذلك الصفّ الطويل، لكن ليس بعد. فهو مسؤول الآن عن رعاية شخص آخر، وهذا يحتاج إلى المال.

عندما تنقذين شخصاً، تصبحين مسؤولة عنه. هذا ما قاله جيري عندما دعا لينكا للعيش معه، لفترة من الزمن على الأقلّ، إلى أن تتمكّن من بدء حياة جديدة.

في المطار، تعانقت لينكا ولوميكي طويلاً وبقوّة.

قالت لينكا: «لو كانت لديّ أخت...».

فابتسمت لوميكي وهزّت رأسها.

في هذا العالم الكبير والمشرق
في هذا العالم الكبير والمشرق
في هذا العالم الكبير والمشرق

نظرت لوميكي إلى الشمس الساطعة والسحب البيضاء وفكّرت أنّها على الرغم من عدم تمكّنها من كشف أسرار ماضيها، إلاّ أنّ هذه الرحلة أعطتها المفاتيح. فقد كانت لوميكي واثقة تماماً أنّ لينكا هبطت على مسافة قريبة جدّاً من الحقيقة بقصّتها المزيّفة عن كونهما شقيقتين. ذلك أنّ الأحلام والذكريات التي أيقظتها كذبتها

كانت صحيحة. وباتت لوميكي على ثقة أنّها لم تتخيّل لعبة بياض الثلـج والـوردة الحمـراء أو أيّ من الصـور الباقية، بل كلّها وقعت بالفعل.

ذات مرّة، كانت لديها أخت.

مكتبة
telegram @ktabpdf
telegram @ktabrwaya
جديد الكتب والروايات

تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

«... وكانت هناك فتاة،
وكان لديها سرّ».

تتألف ثلاثية «بياض الثلج» من روايات:
«حمراء كالدَّم» و«بيضاء كالثلج» و«سُوداء كالأبنوس».

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic

ISBN 978-614-01-1315-2

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com